كشوف مصر الأفريقية

في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩)

دكتور

عبد العليم خلاف

تصدر عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة:
د. سمير سرحان

رئيس التحرير:
د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:
محمود الجزار

الاشراف الفنى

محمــود الجــزار

تقديم

يسرني أن أقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب عن « كشوف مصر الأفريقية فى عهد الخديوى اسماعيل » ، الذى ألفه الدكتور عبد العليم خلاف ، المدرس بكلية الآداب جامعة الزقازيق ، وهو يؤرخ لصفحة مهمة من صفحات تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر ، لعبت فيها مصر دورا خطيرا فى حركة الكشف الجغرافى فى أفريقيا ، انطلاقا من مصالحها الوطنية التى هددها تسابق الدول الأوربية للسيطرة على أفريقيا ٠

ففى ذلك الحين كان الاستعمار الأوربى قد انتقل من المرحلة التجارية ، التى كان يكفى فيها الاستيلاء على الشواطىء الأفريقية لاقامة المراكز التجارية ، الى المرحلة الصناعية التى كانت تتطلب الاستيلاء على قلب أفريقيا لنهب ثرواتها الطبيعية ٠

ومع أن مصر لم تكن لها أهداف استعمارية كتلك التى قادت الدول الأوربية ، الا أن تركها الساحة للدول الأوربية فى مجال الكشف الجغرافى ، كان يهدد بمحاصرة مصالحها الحيوية ، ويهدد بمنعها فى المستقبل من استكمال حدودها الجغرافية المتعلقة بمنابع النيل ، ويضع هذه المنابع فى يد أوربية استعمارية ٠

من أجل هذا كان على مصر القيام بدورها التاريخى فى مركز الكشف الجغرافى ، خصوصا عندما تولى حكمها الخديو اسماعيل الذى كان يمتلك عقلية امبراطورية توسعية لا تقتصر على حدود مصر التى تولى حكمها ، وانما نظر الى مصر فى اطار حدودها الطبيعية المتغلغلة فى قلب أفريقيا ٠

ومن أجل ذلك عمل على توظيف المستكشفين الأوربيين فى خدمة المصالح المصرية ، الأمر الذى ترتب عليه استكشافات صمويل بيكر وجوردون فى أعالى النيل الأبيض ، وقيام البعثتين الكشفيتين اللتين أعدهما الجنرال « ستون » الى كردفان ودارفور فى غرب السودان ، ثم الكشوف الجغرافية فى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن ، وامتدادها الى ساحل الصومال وشرق أفريقيا منذ ١٨٧٥ ٠

والكتاب يتتبع حركة هذه الكشوف ، بما استتبعها من توصيل أملاك مصر الى جهات خط الاستواء على مدى ثمانيـــة فصـــول ، ويختم بالفصل التاسع الذى يتحدث (عن توقف هذه الكشـــوف وأسباب هذا التوقف ٠

وأملى أن يجد القارئ العزيز فى هذا الكتاب ما ينشد من فائدة ومتعة ، والله الموفق ٠

رئيس التحرير

د٠ عبد العظيم رمضان

مقـــدمة

دأب الانسان منذ القدم على السـعى والتجـوال ليضيف الى علمه ومعرفته جديدا • وفى نطاق المنطقة التى نعيش فيها وهى القارة الأفريقية ، حاول انسان العصور القديمة والوسطى، استكشافها والتعرف عليها، كما كانت نفس الاهتمـامات لدى انســان العصـور الحديثة مع نهاية القرن الخامس عشر • غير أن جميع هذه المحاولات كانت تصـطدم عادة بظـروف القـارة الطبيعية : من جبال شاهقة وصحراء شاسعة ومنـاخ قاس وطرق غير معبدة وأنهار وبحار غير صالحة للملاحة وغابات كثيفة وحيوانات مفترسـة وحشرات ضـارة وأمراض متوطنة ، فضلا عن قلة ما يوجد بسواحلها غير المتعرجة من موانىء طبيعية ، تساعد على رسو السفن بها • ولأجل هذا اقتصرت المحـاولات السـابقة عـلى استكشاف السـواحل الأفريقيـة فقط وكذا الجهـات الداخلية القريبة منها ، بينما ظل كل ما يتعلق بوسط القارة مجهولا حتى أواخـر القرن الثامن عشر وبداية

القرن التاسع عشر ، عندما بذلت محاولات جادة قام بها الانسان الأوربي للتوغل في داخل القارة • ثم لم يلبث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن جاب جهات أفريقيا المختلفة بما فيها الجهات الداخلية ، العديد من المستكشفين والمبشرين والرحالة والتجار الأوربيين ، وبدأت تتسابق الدول الأوربية فيما بينها من أجل زيادة اتصالها بمناطق أفريقيا المختلفة ، الأمر الذى دفع بمصر لأن تثبت وجودها فى الميدان الافريقى فأرسلت حملاتها العسكرية الى مختلف الجهات الأفريقية بغرض فتحها والسيطرة عليها والحيلولة دون وقوعها فى أيدى القوى الأوربية • وقد نجحت أغلب هذه الحملات فى أداء مهمتها ، بيد أنها حققت نجاحا آخر فى استكشاف مساحات شاسعة من أفريقيا وتوصلت الى معلومات وحقائق مهمة عن شعوبها •

وقد وجهت مصر اهتمامها بأمر استكشاف القارة الأفريقية ، بشكل واضح مع بداية تأسيس الدولة المصرية الحديثة فى عهد محمد على (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م) فقد رغب هذا الوالى فى كشف الغموض عن منابع نهر النيل التى ظل أمرها مجهولا حتى ذلك الوقت ، كما رغب فى اعادة الاتصال التاريخى القديم بين مصر والجهات الأفريقية حيث وصلت رحلات المصريين

القدماء الى بلاد النوبة ومنطقة التقاء النيل الابيض بالأزرق كما وصلوا الى بلاد بونت (اريتريا والصومال حاليا) على الساحل الشرقى لأفريقيا .

فضلا عن ذلك فقد توافرت لدى محمد على أسباب أخرى دفعته لتوسيع حدود مصر من الجنوب والتقدم جهة المناطق الأفريقية وبخاصة السودان . لعل من أهمها رغبته في تجنيد السودانيين فى الجيش المصرى وسد حاجاته من الأيدى العاملة السودانية لخدمة مشروعاته الزراعية والصناعية وتنشيط حركة التجارة بين مصر والسودان وايجاد تكامل اقتصادى بينهما وبالتالى يمكنه ربط البلدين بسياسة الاحتكار التى سار عليها . هذا بالاضافة الى رغبته فى اكتشاف مناجم الذهب والحديد ، والضرب على أيدى المماليك الهاربين من مصر والسيطرة كذلك على مداخل البحر الأحمر التى تتحكم فى طريق التجارة بين الشرق والغرب .

من أجل هذا أرسل محمد على أولى حملاته العسكرية الى بلاد السودان فى يوليو سنة ١٨٢٠ وأسند أمر قيادتها الى ابنه اسماعيل باشا وقد نجحت هذه الحملة في اخضاع عدة مناطق سودانية للسيادة المصرية منها بلدان : دنقلة وكورتى وبربر وشندى والحلفاية

وأم درمان والخرطوم وسنار ، كما نجح رجالهـا فى استكشـاف كل ما يتعلق بمظاهر طبيعة هـذه البلدان وأحوال أهلها ٠ وبينما كانت حملة اسـماعيل باشـا تجوب الجهات الشرقية من السودان كانت هناك حملة مصرية أخرى تجوب الجهات الغربية منه وهى الحملة التى ارسلها محمد على فى أواخر سنة ١٨٢٠ الى كردفان تحت قيادة صهره « محمد بك الدفتردار » وقد تمكنت هذه الحملة من اخضـاع كردفان للسـيادة المصرية ، واستطاع قائدها أن يستكشف عدة جـوانب مهمـة عن كردفان تتعلق بطبيعة أرضـها وجبالهـا ومعادنهـا ومحصولاتها وحيواناتها كما تتعلق بنشـاط سـكانها وعاداتهم وطبائعهم ، فضلا عن ذلك فقد تمكن « محمد بك الدفتردار » من رسم خريطة لاقليم كردفان عـلى قطعـة قماش من الكتـان أوضـح فيها أماكن المحطات المختلفة التى مر بها والمسافة بين كل محطة وأخـرى مقدرا تلك المسافات بالزمن الذى كان يقطعه فى أثناء سـيره ٠

ونتيجة لهذه الفتوحات فى العقد الثانى من القرن التاسع عشر ، صارت لمصر السيادة عـلى معظم البلدان السودانية مما هيأ لهـا فرصة اقامة الحكومة الوطنية هناك والعمل عـلى استتباب الأمن واشراك العناصر

الوطنية فى شئون الحكم والادارة وانشاء المدن الجديدة وانتظام المواصلات وانتعاش الزراعة والصناعة وتنشيط حركة التجارة واستثمار الموارد الطبيعية والعمل كذلك على النهوض بمستوى الأهالى ونشر الوعى الصحى والتعليمى والاجتماعى وما الى ذلك من مظاهر الحضارة الحديثة .

وقد ظلت مسألة كشف الغموض عن منابع نهر النيل تشغل بال محمد على ، ومن ثم فانه لم يدخر وسعا في ارسال البعثات والحملات الكشفية الى المنابع الاستوائية ففى سنة ١٨٢٨ أرسل بعثة كشفية سارت فى النيل الأبيض برئاسة ابراهيم كاشف وخورشيد بك . وقد استطاعت هذه البعثة أن تصل الى بلاد الشلك على جانبى النهر وتوغلت فى بلاد « الدنكا » جنوبا حتى وصلت الى ما وراء الخط العاشر من خطوط العرض الشمالية . كما أرسل فى سنة ١٨٣٩ حملة كشفية بقيادة الضابط البحرى المصرى « سليم قبطان » وقد وصلت هذه الحملة الى مصب نهر السوباط ، ثم استأنفت ابحارها فى بحر الجبل حتى وصلت الى خط عرض ١٠ ٦° شمال خط الاستواء حيث كان يتعذر على الحملة مواصلة رحلتها أبعد من ذلك بسبب قلة عمق المياه وعندئذ قرر « سليم قبطان » العودة الى الخرطوم . وفى

طريق العودة استكشف نهر السوباط فأوضح أن مياه هذا النهر تختلف عن مياه نهر النيل حيث كان لونها ضاربا الى الحمرة • واشار الى أن عرضه يبلغ نصف ميل تقريبا وله ضفتان مرتفعتان وينتمي سكان منطقته الى قبيلة « الدنكا » التى تنتشر على طول نهر السوباط من الجانبين

وقد أثارت حملة « سليم قبطان » هذه اهتمام الهيئات العلمية والجغرافية ، بفضل الرسالة التى نشرها « سليم قبطان » وتضمنت تفاصيل رحلته وكل ما يتعلق بمجرى نهر النيل وروافده والقبائل القاطنة بجواره كما ألحق بها جداول بالارصاد الجوية عن هذه الجهات • وقد ترجمت هذه الرسالة الى اللغة الفرنسية وقدمت الى الجمعية الجغرافية الفرنسية ونشرت فى مجلتها فى أعداد يوليو وأغسطس وسبتمبر سنة ١٨٤٢ بعد أن حازت على اعجاب علماء الجغرافيا بفرنسا •

وعاد محمد على وأرسل مرة أخرى « سليم قبطان » على رأس حملة كشفية ثانية الى المنابع الاستوائية وقد وصلت هذه الحملة فى يناير سنة ١٨٤١ الى جزيرة « جونكر » الواقعة على خط عرض ٤٢ ٤° شمالا •

وهى تقع تجاه بلدة « غندكرو » القريبة من المنابع الاستوائية . بيد أن الحملة لم تستطع مواصلة ابحارها في نهر النيل لهبوط منسوب المياه جنوب جزيرة « جونكر » ولوجود الجنادل والشلالات التى تحول دون تقدم السفن فى ذلك الجزء من النهر فآثرت العودة الى الخرطوم فعادت اليها فى مايو سنة ١٨٤١ .

وقد حاولت حملة أخرى ارسلها محمد على بقيادة سليم قبطان أيضا فى سبتمبر سنة ١٨٤١ ، اجتياز النيل الابيض بعد جزيرة « جونكر » ولكنها لم تتمكن لنفس الاسباب التى منعت ابحار الحملة الثانية فعادت الى الخرطوم فى مارس سنة ١٨٤٢ . وكانت هذه الحملة آخر الحملات الكشفية التى أرسلتها مصر للكشف عن منابع النيل فى عصر محمد على .

وعلى الرغم من أن هذه الحملات الثلاث لم تحقق الهدف المرجو من ارسالها فانها كانت فاتحة عصر جديد فى مجال الكشوف الجغرافية فى أفريقيا فكانت الأساس الذى بنى عليه حل مشكلة منابع النيل وذلك بفضل ما توصلت اليه من دراسات طبيعية وجغرافية لمجرى النيل الأبيض . كذلك كان لهذه الحملات أثر كبير فى ابطال الوهم الذى ساد اعتقاد الجغرافيين

والمستكشفين من أن نهر النيل ينبع من جبال القمر الواقعة بين خطي العرض الثامن والسادس شمال خط الاستواء فقد ثبت نتيجة لحملات « سليم قبطان » ان النيل يبتدىء مجراه من الجنوب . فضلا عن ذلك فقد ألقت هذه الحملات الضوء على كثير من المناطق الأفريقية التى كانت تعد حتى ذلك الوقت فى حكم المناطق المجهولة فأمكن بالتالى ارتيادها وفتح أسواق تجارية بها .

وجملة القول أن هذه الحملات كانت تعد ثمرة من ثمرات الحضارة والبيئة العلمية التى ظهرت فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

والواقع أنه مع نهاية عهد محمد على سنة ١٨٤٨ توقفت جهود مصر فى محاولة استكشاف منابع النيل وبقية الجهات الأفريقية الأخرى اذ لم يعر عباس الأول (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) ، خليفة محمد على ، هذه الاستكشافات اية اهتمام كما لم يهتم خليفته من بعده « محمد سعيد باشا » (١٨٥٤ ـ ١٨٦٣) بهذه المسألة . وبعد انقضاء عهد سعيد باشا سنة ١٨٦٣ تولى حكم مصر اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد على (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) فأراد أن يستكمل مسيرة جده فى استكشاف منابع النيل وأن يكون لمصر دور ايجابى فى هذه

الناحية خاصة بعد ان توافرت لديها الظروف والامكانات المختلفة للقيام بمثل هذا العمل الجغرافي . فهى صاحبة النفوذ على الشطر الشمالى لوادى النيل وعلى قسم كبير من شطره الجنوبى والامر بهذا الوضع يعنيها اكثر من اية حكومة اخرى قائمة فى حوض النيل وأقدر منها على القيام به لما تملكه من الاستعدادات اللازمة له .

وليس من شك فى آن المكاسب التى حققها اسماعيل فى استقلال مصر الذاتى عن الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليها ، قد هيأت له المناخ الملائم لتحقيق طموحه ومشروعاته التوسعية فى أفريقيا اذ استطاع نتيجة للفرمانات التى حصل عليها من السلطان العثمانى عبد العزيز (١٨٦١ ــ ١٨٧٦) أن يحصل لنفسه على لقب « خديو » وبالتالى تميز عن سائر الولاة العثمانيين ، وأن يجعل لمصر الحق فى عقد المعاهدات التجارية مع الدول الأجنبية وحق الاقتراض من بيوت المال الأجنبية وكذلك حق سن القوانين التى تمس أوضاع مصر الداخلية بالاضافة الى حقها فى زيادة عدد الجيش والأسطول دون تحديد . وقد انعكس ذلك بالطبع على أوضاع مصر الداخلية حيث شهدت البلاد طوال سنى حكم اسماعيل ، تغييرات مهمة فى كافة

المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكذلك فى علاقاتها بالدول الأجنبية ·

ومن ثم فان جهود مصر الكشفية فى أفريقيا تعد من معالم السياسة الجديدة التى طرآت على البلاد فى عهد الخديو اسماعيل ·

دوافع الكشف المصرى فى أفريقيا

ارتبط النشاط الكشفى ــ فى أحيـــان كثيرة ــ بأعمال التوسع المصرى فى أفريقيا ، وقد تنوعت معــه الأسباب والدوافع فمنها ما يتعلق بالجوانب الانسانية الخاصة بمناهضة تجارة الرقيق الأفريقيـــة وأخـــرى تتعلق بالجوانب السياسية المتمثلة في محاولة بســـط السيطرة المصرية على بعض الجهات الأفريقية كالجهـــات الاستوائية ، ومنها كذلك ما يتعلق بالجوانب الحضارية الخاصة برغبة مصر فى تعمير الجهات الأفريقية وتمدين شعوبها ، ثم كانت الجوانب الشخصية الخاصة بخديو مصر ، من الدوافع المهمة وراء نشاط مصر الكشفى فى أفريقيا .

ويعد الدافع الانسانى بما ينطوى عليه من محاربة تجـــارة الرقيق الأفريقيـــة ، من أبـــرز دوافع الكشـــف

المصرى فى أفريقيا وذلك لتغلغل هذه التجارة فى جهات أفريقيا منذ زمن سحيق حتى صارت فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تشكل ركنا رئيسيا من أركان المجتمع الأفريقى يصعب هدمه ٠

فمنذ ان فتح النيل الابيض للملاحة على أثر نجاح الحملات الثلاث التى قادها « سليم قبطان » بين عامى ١٨٣٩ ـ ١٨٤٢ ، اكتسبت تجارة الرقيق اهمية متزايدة فى أفريقيا وانتشرت اسواقها فى مناطق «بربر» و «سنار» و «كوبى» و «الناشر» و «الأبيض» و « سواكن » ٠ وازدحمت الخرطوم نتيجة لذلك باتجار العرب والأوروبيين الذين وجدوا معينا لا ينضب من الرقيق على جانبى النيل الأبيض والسوباط وبحر الغزال ٠ وقد أسس بعض هؤلاء التجار شركات تجارية كما أنشأ بعضهم « مشارع » أو « زرائب » يجمعون فيها الأسلحة والذخائر والرقيق ويتخذون منها مراكز لنشاطهم وقواعد لارسال حملاتهم المسلحة لصيد الرقيق ٠

وقد ترتب على تمتع تجار الرقيق بذلك النفوذ الكبير أن انتشرت فى مناطق جلب الرقيق وأسواقه حالات الاضطراب والفوضى وقامت الحروب الأهلية

بين خاطفي الرقيق والسكان المحليين • ويكشف هـذا بوضوح عن غياب القوة السياسية والأمنية التى تحـكم هذه المناطق من أفريقيا • كما يشكل فى الوقت نفسه اغراء يجذب انتباه القوى الاستعمارية التى تسابقت فيما بينها للسيطرة على تلك المناطق •

ازاء ذلك كان على مصر ضرورة تشديد قبضتها فى مناطق جلب الرقيق واسواقه الواقعة فى الجهات التابعه لها منذ الفتح المصرى للسودان فى عشرينات القرن التاسع عشر • وايضا ضرورة وضع أماكن الرقيق الأصلية في أعالى النيل وبحر الغزال تحت الادارة المصرية وكذلك السيطرة على المنافذ البحرية التى كان يستخدمها التجار فى تهريب الرقيق • وقد سعت مصر لوضع تلك المناطق تحت ادارتها حتى تضيق الخناق على تجار الرقيق ولتقضى على هـذه التجارة فى مواطنها الأصلية •

وتدل كافة الأوامر الصادرة من خديو مصر الى من أوكل اليه حكم آية جهة تدخل تحت الادارة المصرية ، على مدى صدق النوايا المصرية فى القضاء على تجارة الرقيق وقد أكد هذا المعنى كثير من المؤرخين الأوربيين أمثال : « كرابيتيس Crabités » و « دوان Douin » و « هولت Holt » و « جراى Gray » .

وقد رحب خديو مصر اسماعيل بالتعاون مع الحكومة الانجليزية في انهاء تجارة الرقيق في أفريقيا حيث كانت تحدوه رغبة قوية في أن يطلع الرأى العام الانجليزى وجمعية مكافحة الرق في لندن على مدى صدق الحكومة المصرية في مناهضة تجارة الرقيق وقد انتهى هذا التعاون بتوقيع معاهدة بين الجانبين : المصرى والانجليزى في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ من أجل مناهضة تجارة الرقيق في أفريقيا كما سيأتى ذكرها فيما بعد .

واذا كانت محاربة تجارة الرقيق في أفريقيا ، تشكل عاملا انسانيا دفع بمصر لان ترسل حملاتها العسكرية الكثيفة الى هذه القارة ، فان هناك دوافع أخرى لا تقل أهمية عن الدافع السابق كانت ـ أيضا ـ وراء ارسال الحملات المصرية الى جهات القارة المختلفة .

من هذه الدوافع كان الدافع السياسى ، حيث فرضت الأوضاع السياسية على مصر ، آنذاك ، ضرورة بسط سيطرتها على جهات أعالى النيل الأبيض ، للحيلولة دون وقوعها في فلك الاستعمار الأوربى ، فمن الثابت لدينا انه ابتداء من النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت الدول الأوربية تتطلع عن كثب ـ لأن تضع أقدامها في المناطق الأفريقية المهمة المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى ، وذلك لكى تتخذ

منها منافذ يمكن عن طريقها التوغل الى جهات وسط القارة لاستعمارها واستغلال مواردها النباتية والحيوانية والمعدنية ، فضلا عن ايجاد اسوق الواسعة لتصريف الفائض من منتجاتها ، ولذا فقد دأبت هذه الدول على زيادة ارسال حملاتها الكشفية وبعثاتها التبشيرية الى جهات أفريقيا المختلفة ، كما شجعت قيام الشركات التجارية هناك • ومن ثم شهدت معظم الجهات الأفريقية فى الربع الثالث من القرن التاسع عشر نشاطا كشفيا وتبشيريا متواصلا ، أعقبه فى الربع الأخير منه نشاط استعمارى واضح •

ولعل من أبرز الرحلات الكشفية الأوربية التى جابت جهات أفريقيا المختلفة ، الرحلات التى قام بها المستكشفون الانجليز أمثال : « بثريك Petherick » (١٨٥٣ ــ ١٨٥٤) الى جهات غرب السودان وبحر الزراف وبحر الغزال ، برثون « B urton » (١٨٥٤ ١٨٥٧) الى شرق ووسط القارة ، سبيك Speke وجرانت Grant (١٨٥٧ ــ ١٨٦٢) الى الجهات الاستوائية ، بيكر Baker (١٨٦١ ــ ١٨٦٤) الى أعالى النيل الأزرق والابيض ، وستانلى « Stanley » (١٨٦٩ ــ ١٨٧٧) الى شرق ووسط القارة ،

ولفنجستون Livingstone « » (١٨٤١ ــ ١٨٧٣) الى جنوب وشرق ووسط آفريقيا ٠

كما كانت هناك رحلات كشفية المانيــة قام بهـا دكتور « بارث Dr. Barth » (١٨٤٩) الى شمال ووسط القارة الأفريقية ، ودكتور رولنس Dr. Rohlfs » (١٨٦٥) الى شمال وغرب القارة، ودكتور ناختنجال Dr. Nakhtingal » (١٨٦٩ ــ ١٨٧٣) الى غرب القــارة ، ودكتـــور شوانيفورث Dr. Schweinfurth (١٨٦٩ ــ ١٨٧١) ، الى بحر الغزال ٠

ومن الرحلات الكشفية الفرنســية كانت رحــلات « بينيه Penée » (١٨٦٠) الى الجهات الاستوائية ، ورحلات ، دى برازا De Brazza (١٨٧٥ ــ ١٨٧٨) الى الكنغو وغرب أفريقيا ٠

ولقد كان هؤلاء المستكشفون يحملون معهم شعارات تنادى بادخال الحضارة الأوربيــة الحديثــة فى جهــات أفريقيا المختلفة ، بيد أن هذه الشعارات سرعان ما كانت تتلاشى لتظهر بعدها أطماع كل دولة أوربيــة يعمــل لحسابها المستكشفون مما ســاعد عــلى انتشار حــركة الاستعمار الآوربى فى القارة ٠

أما البعثات التبشيرية فمنها ما كانت بروتستنتية كبعثة الجامعات التبشيرية الى وسـط افريقيـا ، التى أنشأت أول مركز لها سنة ١٨٦١ عند نهر ابزمبزى ، وجمعية الكنائس الاسكتلندية التى بدأت عملها سنة ١٨٧٤ في نياسالاند (مالاوى حاليا) وجمعية إنكنيسة التبشيرية التي بدأت نشـاطها التبشـيرى فى آوغنـدا وجمعية الكنائس الهولندية الاصلاحية وكانت تمارس نشاطها فى جنوب أفريقيا • كما كانت هناك بعثـات تبشيرية كاثوليكية كتلك التى بدأت عملهـا فى سـنة ١٨٤٧ فى مناطق بحر الغزال وعند كرو والسوباط وجماعة الآباء البيض التى تألفت سنة ١٨٦٨ ومارست نشاطها فى شمال أفريقيا وروديسيا الشمالية •

وعلى الرغم من الخدمات الجليلة التى أدتهـا هـذه البعثات التبشيرية تجاه الأفريقيين وبخاصـة فى مجالى التعليم والعلاج فانها أساءت اليهم بطريق غـير مباشر ، بما قدمته للدول الأوربية التى تنتمى اليها من معلومات وافية تتعلق بأحوالهم ولهجـاتهم وطبيعـة بلادهم وما يتوافر بها من ثروات طبيعية، الأمر الذى أفاد هذه الدول فى سياستها الاستعمارية لجهات أفريقيا المختلفة وقد ضربت المثل فى ذلك جمعية الكنائس الاسكتلندية حيث مهدت لاعلان الحماية البريطانية على نياسـالاند سـنة

١٨٩١ ، وجمعية الكنيسة التبشيرية التى هيأت السبيل لفرض الحماية البريطانية على أوغندا سنة ١٨٩٤ .

وفي سنة ١٨٧٦ دعا الملك البلجيكي ليوبولد الثاني Leapold II إلى عقد مؤتمر في عاصمة بروكسل وذلك لبحث الوسائل الممكن اتخاذها لكشف أفريقيا ونشر الحضارة فيها وبالفعل اتفقت الدول المشتركة (فرنسا ــ بريطانيا ــ المانيا ــ النمسا ــ ايطاليا ــ روسيا ــ بلجيكا) على تاليف « الهيئة الدولية لكشف أفريقيا وإدخال الحضارة فيها » . ولم تكن هذه الهيئة سوى قناع تخفت وراءه الأطماع الاستعمارية . وعقب انتهاء هذا المؤتمر تفجرت شهوة الاستعمار الأوربى في القارة الافريقية فقد تسابقت دول المؤتمر في الربع الأخير من القرن الماضى لتحقيق هذا الغرض ساعدها في ذلك قيام الشركات التجارية كشركة شرق أفريقيا الألمانية » التى تأسست فى سنة ١٨٨٥ وشركة شرق أفريقيا البريطانية (فى سنة ١٨٨٦) وشركة جنوب أفريقيا البريطانية (فى سنة ١٨٨٩) وقد عملت هذه الشركات على امداد نفوذ بلادها فى أكبر مساحة ممكنة من أراضى القارة .

وهكذا صارت أفريقيا في نهاية القرن التاسع عشر نهبا للدول الأوربية حتى أصبح التعبير الشائع بين

الكتاب عن العلاقات بين أوربا وأفريقيا في هذه الفترة وهو التكالب الاستعماري على القارة الأفريقية « The Scramble for Africa ».

وازاء هذه الأوضاع كان على مصر ضرورة امداد نفوذها فى الجهات الأفريقية وبخاصة فى الجهات الاستوائية تحسبا لكل المخاطر التى قد تنجم عن وقوع منطقة منابع النيل الاستوائية تحت سيطرة اية قوة من القوى الاستعمارية المتنافسة آنذاك على استعمار القارة مما كان يترتب عليه تهديد مركز مصر الاقتصادى والسياسى في ذلك الوقت .. ومن جهة أخرى فقد رأت مصر أن وجودها فى منطقة أعالى النيل سوف يؤكد الوحدة الجغرافية لحوض النيل ويربط الشعوب القاطنة وادى النيل برباط يتناسق مع ما بينها من روابط طبيعية ، خاصة ان المصريين كانوا يهتمون بنهر النيل وبتوطيد علاقاتهم بسكان واديه خلال العصور التاريخية القديمة .. ومع تأكيد الوحدة الجغرافية لحوض النيل تطلعت مصر كذلك الى تأكيد الوحدة الاقتصادية بينها وبين الشعوب الأفريقية فرأت ضرورة أن تهتم بامداد هذه الشعوب بما يتسنى لها من خبرة زراعية وصناعية وأن تعمل على تنشيط وتنمية تجارتها هناك .

وانطلاقا من مبدأ الحفاظ على منابع النيل الاستوائية وعدم وقوعها فى أيدى القوى الاستعمارية الأوربية ، فضلا عن تطلعات المصريين بتأكيد الوحدة الجغرافية لحوض النيل وكذلك الوحدة الاقتصادية خرجت الحملات المصرية العسكرية الى الجهات الاستوائية كما خرجت الى مختلف الجهات الأفريقية التى بدأت تتجه اليها الأطماع الأوربية حينذاك ، الأمر الذى كان يشكل واقعا سياسيا مهما حدا مصر لأن تمد نفوذها الى جهات كثيرة في أفريقيا مما أدى بالتالى الى اتساع دائرة نشاطها الكشفى بالقارة ٠

كذلك كان هناك دافع آخر حضارى فرض على مصر وجودها فى الجهات الأفريقية وقتئذ وذلك بحكم الصلات التاريخية القديمة بينها وبين شعوب القارة ٠ وتؤكد معظم الأوامر الصادرة من خديو مصر الى حكمداريى السودان ومحافظى الأقاليم الأفريقية التابعة لمصر ايمان مصر بدورها الحضارى فى القارة ، فغالبية الأوامر كانت تنص على تحقيق « أسباب التمدن والعمارة ٠٠ وتوسيع دائرة الزراعة والتجارة ٠٠ ودفع الأحوال الوحشية ٠٠ وتمهيد الطرق وتأمينها ٠٠ والتأليف بين الأهالى وتوطيد الأمن فى المسالك والمعابر ٠٠ والحيلولة دون امتداد يد الأذى والضرر بعباد الله المسافرين والتجار وحفظ أرواحهم وأموالهم وأمتعتهم ٠٠٠ » ٠

والجدير بالذكر أن حملات الكشف المصرية كانت تجوب جهات أفريقيا باذلة الجهد والدماء في سبيل تعميرها ودراسة أحوالها وجغرافيتها وطبائع أهلها وعاداتهم وموارد رزقهم حتى يتسنى لمصر بعد ذلك نشر الأمن بها والنهوض بمستوى سكانها وتعليمهم وقد شهد بذلك كثير من المستكشفين والقناصل والتجار الأوربيين مثل : سير صمويل بيكر Sir Samueal Baker وهو واحد من المستكشفين الانجليز الذين عملوا في خدمة مصر في الفترة من ١٨٦٩ الى ١٨٧٣ ، ومسيو سوزارا Zuzzara » ــ قنصل النمسا في مصر في عهد الخديو اسماعيل .

أما القول بأن الوجود المصرى فى أفريقيا لم يكن بغرض ادخال الحضارة فى جهات أفريقيا وانما كان بغرض استغلال مواردها واستنزاف ثرواتها الطبيعية مما نجم عنه زيادة فى دخل الخزانة المصرية فى ذلك الوقت . فهو قول ليس له أساس من الصحة لأن الامتداد المصرى فى جهات أفريقيا كان يشكل عبئا على الاقتصاد المصرى ولم يكن أبدا مصدرا من مصادر الدخل للخزانة المصرية فقد كانت الحملات العسكرية والبعثات الاستكشافية التى أرسلتها مصر لتلك الجهات الشاسعة من أفريقيا وتحملت نفقاتها من معدات لازمة ومؤن

ورواتب الجند والضباط المصريين والأجانب ، كانت من أهم أسباب الافلاس المالى الذى حاق بمصر فى عهد الخديو اسماعيل ٠

والواقع ان هناك دافعا ذاتيا آخر ساهم فى ايجاد هذه الحركة الكشفية وارتبط بشخصية الخديو اسماعيل ٠ فالمعروف ان اسماعيل كان محبا للحضارة الاوربية طموحا لجعل مصر قطعة من اوربا ومن ثم كان اعتماده على الاوربيين في معظم مشروعاته مدفوعا في ذلك الى كسب الثقة الاوربية حتى تيسر له مهمة الاقتراض المتزايد من دول أوربا وحتى يجد عطفا وموافقة من الدول الأوربية على التوسع المصرى فى أفريقيا مؤكدا بأن هدف مصر من ذلك هو مناهضة تجارة الرقيق والحفاظ على منابع النيل بالاضافة الى تمدين الشعوب الافريقية ٠ والجدير بالذكر أن خديو مصر كان يدرك مدى اهتمام الأوربيين بالأقاليم الافريقية ويعرف عدم ارتياحهم للتوسع المصرى فى أفريقيا ولم يغفل عنه اطلاقا ما اتفقت عليه الدول الأوربية فيما بينها على ضرورة استعمار هذه الأقاليم الإفريقية لادخال الحضارة فيها واقامة التجارة المشروعة بدلا من خديو مصر الذى صار غير قادر على تحقيق ذلك بسبب أزمته المالية الطاحنة ٠ والأمر الذى لا شك فيه

أن الأزمة المالية التي حاقت بالخديو اسماعيل لم تشكل عقبة للحيلولة دون تنفيذ مصر لسياستها التوسعية وارسال حملاتها الكشفية في أفريقيا بهدف ادخال الحضارة في جهاتها واقامة التجارة المشروعة بها ، بل لقد ترتب على تنفيذ الحكومة المصرية لسياستها التوسعية وارسال حملاتها الكشفية أعباء مالية كبيرة ساهمت في خلق الضائقة المالية التي كان يعاني منها اسماعيل .

على كل حال ربما كانت الاطماع الأوربية لاستعمار أفريقيا من وراء رغبة الخديو اسماعيل القوية في تكوين امبراطورية أفريقية على ضفاف النيل تمتد من البحر المتوسط شمالا حتى خط الاستواء جنوبا وكأنه قد أراد بذلك أن يخلق من الجهات الأفريقية المطلة على نهر النيل وحدة سياسية تتفق مع الوحدة الطبيعية المشتركة بين هذه الأقاليم ، يضاف اليها مناطق أفريقية أخرى تقع على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى . وقد أراد اسماعيل بتشييده لصرح هذه الامبراطورية الأفريقية الوقوف أمام أطماع الدول الأوربية المتنافسة فيما بينها على استعمار القارة ، الأمر الذى سوف يكفل لمصر مراقبة منابع

النيل حتى لا تضار سياسيا واقتصاديا من جراء وقوع هذه المنابع فى أيدى القوى الاستعمارية ٠

وليس بوسعنا أن ننكر الأمانى التى كانت تراود الخديو اسماعيل لتكوين امبراطورية أفريقية فقد كان يطمع اذا ما تحققت هذه الامبراطورية ان يفوز بمجد كبير ، خاصة بعد أن فشل جده محمد على فى تكوين امبراطورية عربية قبل ذلك بحوالى عشرين عاما ٠ ثم انه رأى من جهة أخرى أن امبراطوريته الأفريقية هذه سوف تعلى من شأنه بين دول أوربا وهو الحريص على أن يكسب رضاها دائما ٠ وترفع فى الوقت نفسه من مركزه عند السلطان العثمانى الذى كان يرحب بالتوسع المصرى فى أفريقيا مادام كان مصحوبا بالعلم العثمانى ٠ ولا شك أن الخديو اسماعيل حرص على ارضاء الدول الأوربية والدولة العثمانية صاحبة السيادة القانونية عليه حتى يضمن لنفسه ولذريته من بعده حكما مستقرا فى مصر والجهات التابعة لها ، وهو الأمر الذى كان يعمل له دائما ٠

ثم ان هناك دافعا شخصيا آخر تمثل فى رغبة الخديو اسماعيل فى أن يستكمل مسيرة جده محمد على

فى خدمة الأغراض العلميـة وذلك بمواصلة الكشـف الجغرافى عن منابع النيل الاستوائية حيث أن الجهـود المصرية الكشفية فى عهد محمد على كانت قد توقفت عند منطقة « غندكرو » الواقعة عـلى خط عرض ٤٢ ٤° شمالا وخط طـول ١٦ ٣١° شرقا دون أن تصـل الى البحيرات الاستوائية فرأى الخديو اسماعيل أن وصول مصر الى هذه البحيرات واكتشاف المنـابع الاستوائيـة سوف يضفى على عصره ميزات جديدة تذكر له بالفضل .

مقومات الكشف المصرى فى أفريقيا

بعد أن تهيأت لمصر دوافع ارسال حملاتها الكشفية الى آفريقيا أخذت الحكومة المصرية تهتم باعداد هــذه الحملات وتوفر لها مقومات نجاحها وبدأت الحكومة فى الاعداد لهذه الحملات بأن استقدمت عددا من الضباط الأجانب للعمل فى الجيش المصرى تمشيا مع اتجاهات الخديو اسماعيل الأوربية واقتداء بسياسة جده محمــد على فى الاستعانة بهم لتدريب جنــوده والاستفادة بما لديهم من خبرة فى شئون الحرب ٠

ووجه اسماعيل نظره الى فرنسا ليطلب منها ايفاد بعثة عسكرية فرنسية لتنظيم المدارس الحربية المصرية وفقا للنظام الفرنسى وبالفعل استجابت له الحــكومة الفرنسية وأرسلت البعثة المطلوبة سنة ١٨٦٤ برئاسة الكولونيل ميرشيه « Mircher الذى تولى نظارة المدارس

الحربية في فبراير سنة ١٨٦٥ واهتم بتنظيم مكتبتها « كتبخانة المدارس الحربية » وزودها بالكتب اللازمة لها • كما أعاد اصدار « الجريدة العسكرية المصرية فى أكتوبر سنة ١٨٦٥ » •

بيد ان اسماعيل طوال مدة اقامة البعثة الفرنسية بمصر لم يخف اعجابه بالعسكرية البروسية (الألمانية) خاصة بعد انتصارها على القوات النمساوية في « سادوا Sadwa » سنة ١٨٦٦ وقد دفعه اعجابه هذا الى أن يقوم بزيارة لمدينة برلين سنة ١٨٦٦ كى يقف على النظم العسكرية البروسية ويختار منهـا ما يلائم نظم الجيش المصرى • وكان انتصار بروسيا على فرنسا فى الحرب المعروفة بحرب السبعين (١٨٧٠ ــ ١٨٧١) قد قوى من رغبة الخديو فى الاستعانة بعدد من الضباط الألمان للاستفادة بهم فى الجيش المصرى • غير انه رأى أن طلب ارسال بعثة عسكرية ألمانيـة لتدريب الجيش المصرى سوف يثير غضب فرنسا خاصة بعد هزيمتهـا أمام ألمانيا • لذلك فضل الخديو ألا يطلب من حكومات الدول الأوربية ارسال ضباطها للعمل فى الجيش المصرى واكتفى بقبول كل من يرغب من الضباط الأجانب فى الانضمام الى الجيش •

ولا شك أن سياسة الخديو هذه قد أدت الى زيادة عدد الأجانب العاملين فى الجيش المصرى وهى السياسة التى أخذت عليه فيما بعد نتيجة لما ترتب عليها من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية آثرت على الحياة المصرية فى الفترة التى أعقبت خلع الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٩ .

والواقع أن حرص الخديو اسماعيل على توظيف الضباط الأجانب بالجيش المصرى لم يكن بهدف الاستفادة من خبرتهم الحربية وتدريباتهم العسكرية ، ومعرفة البعض منهم بصعوبة المناطق الأفريقية بقدر ما كان يهدف الى كسب ثقة دولهم وموافقتها على مشروعاته التوسعية فى أفريقيا وتأييدها لرغبته فى الانفصال عن التبعية العثمانية فضلا عن السماح له بالاستدانة من بيوتها المالية . وقد لوحظ أن أكثر الضباط الأجانب اشتغالا فى الجيش المصرى كانوا من الأمريكيين اذ بلغ عددهم حوالى خمسين ضابطا أمريكيا عملوا بالجيش فى الفترة من أواخر سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٨ .

ولعل من الأسباب الرئيسية التى حدت بالخديو لأن يقبل هذا العدد من الضباط الأمريكيين فى الجيش

المصرى هو ايمانه بان الولايات المتحدة الامريكية ليست من الدول التى لها مصالح سياسية او اطماع خاصة فى مصر كما هو حال الدول الاوربية التى اتخذت من الوصاية الدولية التى قررتها تسوية لندن ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ فرصة للتدخل في شئون مصر من آن لآخر ، ثم أن المكانة الحربية التى أصبح عليها الأمريكيون بعد انتصارهم على الفرنسيين فى المكسيك سنة ١٨٦٦ قد أكدت له مدى ما يتمتع به الضباط الأمريكيون من الخبرة الحربية ، الأمر الذى سوف يبشر بالنجاح ـ حسب اعتقاده ـ فى تدريب جنوده أحسن تدريب .

وكان طبيعيا أن تعترض كل من انجلترا وفرنسا على سياسة الخديو فى الاستعانة بالضباط الأمريكيين معلنين بأن ضباطهما لا يقلون كفاءة عن الأمريكيين فى اعداد الجيش المصرى ، غير أن الخديو قابل اعتراضهما بعدم الاهتمام مدركا نوايا الدولتين فى بسط نفوذهما فى مصر اذا ما سمح لضباطهما للعمل بالجيش المصرى وهو الأمر الذى حدا به لأن يستعين بضباط دولة أجنبية أخرى ليست لها مصالح أو أطماع فى مصر .

ولا شك أن تعيين الضباط الأمريكيين فى الجيش المصرى قد أفاد الى حد كبير الحركة الكشفية التى اهتمت

بها مصر ابان توسعها في القارة الأفريقية اذ قام كثير من الضباط الأمريكيين برحلات كشفية مصرية مهمة في غرب السودان وأعالى النيل الأبيض وشرق افريقيا، وذلك بفضل الجهود التى بذلها الضابط الأمريكي « ستون Stone » في تنظيم هيئة أركان حرب الجيش المصرى واعداد قسم كامل بها يهتم بأعمال الاستكشافات الجغرافية العلمية في الأقاليم الأفريقية التى يمتد اليها الحكم المصرى .

كذلك بلغ من اهتمام الحكومة المصرية بشأن استكشاف الأقاليم الأفريقية أن أصدر الخديو اسماعيل أمره العالى في ١٩ مايو سنة ١٨٧٥ بانشاء جمعية جغرافية يكون مقرها القاهرة تحث على القيام بالدراسات المتعلقة بالكشف الجغرافى لأفريقيا وتعنى بالأبحاث العلمية والجغرافية بصفة عامة والأفريقية منها بصفة خاصة . على أن تقوم الجمعية باصدار مجلة دورية تنشر فيها هذه الأبحاث بمصادرها ومراجعها الجغرافية وتسجل الرحلات العلمية الكشفية في الأقاليم الأفريقية موضحة بالخرائط وأن تنشر كذلك ملخصات لأهم الكتب الجغرافية الأجنبية وكذا كل ما يتعلق بالجمعية الجغرافية من وثائق تبرز تقدم العلوم الجغرافية بالقارة الأفريقية . ولم تتوقف المهام التى

كلفت بها الجمعية من قبل خديو مصر عند هـذا الحد ، بل كان عليها أيضا أن تعقـد الصـلات مع الجمعيـات الجغرافية الأوربية حتى يتسنى معرفة نظمها الادارية وأبحاثها العلمية المنشورة في دورياتها ويتيح لها فرصة مراسلة الرحالة والمكتشفين وعلماء الجغرافية والعلوم الطبيعية الأوربيين • كما كان عليهـا كذلك أن تقـوم بإيفاد الرحلات العلمية والاستكشافية للأقاليم الافريقية وأن تساعدها بما تمتلكه من الوسائل الكفيلة لانجاحها، وأن تشجع بنوع خاص الدراسات التي تعـود بالفائدة على صناعة وتجارة مصر والبلاد المجاورة لها •

وقد أولى الخديو اسماعيـل الجمعيـة الجغرافيـة اهتمـاما كبيرا فاحتفظ لنفسـه بحق تعيين رئيسـهـا ووكيلها ، مما مكنه أن يختار أكفأ العناصر القادرة على تنفيذ رسالتها بنجـاح ، وقد أنزلهـا بقصر خاص من قصوره وزودها بما يلزمها من الأدوات والمعدات التى تكفل لها المضى فى عملها وأهدى اليهـا ما يقـرب من ١٢٠٠ كتاب ومجلد لتكون نواة لمكتبتها ، ثم رصد لهـا اعانة سنوية قدرها أربعمائة جنيه • وكان من الطبيعى فى ظـل الرعاية الخـديوية أن تتجنب كل ما تلقـاه الجمعيات العلمية الأخرى ابان نشـأتها من صـعوبات تعوق حرية نشاطها •

ولقد كان من حسن الطالع أن اختار الخديو العالم الألماني الدكتور جورج شوانيفورث Dr. G. Schweinfurth ليكون أول رئيس للجمعيه الجغرافيه وذلك لما عرف عن نشاطه ورحلاته الكشفية الكثيرة للمناطق الأفريقية وخاصة في منطقة بحر الغزال التى ظل بها باحثا ومستكشفا مدة ثلاث سنوات ابتداء من سنة ١٨٦٩ حتى سنة ١٨٧١ وقد حصل نتيجة لرحلاته الكشفية في أفريقيا على ثلاث ميداليات ذهبية منحتها له الجمعيات الجغرافية الأوربية في لندن وباريس وروما ٠

وقد ذكر شوانيفورث فى كلمة افتتح بها أولى جلسات الجمعية الجغرافية يوم الأربعاء ٢ يونيو سنة ١٨٧٥ « ٠٠ اننا اجتمعنا هنا لأجل تأسيس مركز جديد لعلم الجغرافيا فى الديار المصرية كما أمر به خديو مصر ٠٠ وبما انه لا توجد فى العالم مسألة مهمة مثل استكشاف أفريقيا فيلزم أن يكون هذا أعظم وظيفة تقوم بها الشركة (الجمعية) الجغرافية الخديوية ٠٠ »

والواقع أن الجمعية الجغرافية قد تمكنت خلال سنواتها الأولى وبفضل الجهود التى بذلها د٠ شوانيفورث رئيس الجمعية ومساعداه محمود باشا الفلكي والجنرال

« ستون » من ان تساهم فى حركة الاستكشاف المصرية للمناطق الافريقيه ، اذ كانت توجه إنظار ضباط هيئة اركان حرب الجيش المصرى لاهمية المواقع والمناطق المراد استكشافها منها ثم تقوم بمراجعه وتصحيح البيانات والمعلومات الجغرافيه التى تمكن الضباط المستكشفون من الحصول عليها كاسماء المناطق المستكشفة وتضاريسها ومواقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض .. وغيرها علاوة على ذلك فكانت تعقد جلسات سنوية خاصة تضم ضباطا من الجيش ومن هيئة إركان حربه والمهتمين بالدراسات الجغرافية وبعضا من قناصل الدول الأجنبية بمصر للاستماع اما الى تقرير مقدم من أحد الضباط المستكشفين المصريين او الأجانب عن رحلته الكشفية فى المناطق الافريقية أو تناول احدى الرحلات الكشفية التى قام بها واحد من المستكشفين الأجانب فى أفريقيا قبل الحركة الكشفية المصرية ومناقشتها بهدف دراسة النتائج التى توصلت اليها هذه الرحلة الكشفية والبعد عن أخطائها ومفاداة الصعوبات والعوائق التى اعترضتها وهى الأمور التى يمكن أن تفيد الى حد ما الحركة الكشفية المصرية بعد ذلك .

بالاضافة الى ما سبق فقد داومت الجمعية على اصدار مجلة دورية ، كانت تخصص جزءا كبيرا من

صفحاتها لتسجيل كل ما يتعلق بالكشوف الجغرافية كتقارير الضباط المستكشفين ، وما يدور فى جلسات الجمعية من مناقشات واستفسارات حول الاكتشافات المصرية أو الأجنبية التى شهدتها افريقيا فى القرن التاسع عشر ٠

واذا كان الخديو اسماعيل قد اراد بانشاء الجمعية الجغرافية الخديوية خدمة الاغراض الكشفية المصرية فى افريقيا ــ وهى الأغراض التي سبق من أجلها ان وافق على تعيين الاجانب فى الجيش المصري وتنظيم هيئة أركان حربه ، فانه سعى ايضا لتحقيق الأغراض الكشفية نفسها مع الدولة العثمانية حينما أراد أن تتنازل له عن مينائى سواكن ومصوع الواقعين على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وكذا ميناء زيلع الواقع على الساحل الأفريقى لخليج عدن ٠ وذلك حتى يمكن ارسال حملات كشفية الى منطقة شرق أفريقيا ٠

وقد استطاع اسماعيل أن يحقق هدفه سنة ١٨٦٥ بضم كل من سواكن ومصوع الى مصر بوسائله المعروفة فى رشوة السلطان عبد العزيز (١٨٦١ ــ ١٨٧٦) وحاشيته ، كذلك نجح فى ضم ميناء زيلع اليه سنة ١٨٧٥ ٠

وكان ضم الموانىء الافريقية الثلاث الى مصر قد يسر لها مهمة ارسال حملاتها و بعثاتها الكشفية العديدة الى مناطق « زولا » و « بيلول » و « رهيطه » على الساحل الغربي للبحر الاحمر والى « تاجوره » و « بلهار » و « بربرة » الواقعة على الشاطىء الافريقي لخليج عدن . ثم أيضا كانت البعثات الكشفية الأخرى التى أرسلتها مصر الى اقليم « يوغوص » شمال الحبشة والى أراضى « آوسه » وسلطنة « هرر » في شرق الحبشة . فضلا عن حملات الكشف المصرية التى كانت تجوب مناطق عديدة بالساحل الصومالى كمنطقة « رأس جردفون » و « رأس حافون » و « براوة » و «وقسمايو » و « ولامو » و « فرموزة » .

وكان طبيعيا الا تجد الكشوف المصرية فى هذه المناطق ارتياحا من جانب الدول الأوربية صاحبة المصالح الاستعمارية فى القارة الأفريقية كانجلترا وفرنسا وايطاليا وألمانيا وغيرها من الدول الأوربية التى بدأت تنشب أظفارها طوال القرن التاسع عشر فى المناطق الساحلية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى ، تمهيدا للتوغل منها الى داخل

القارة لاستعمارها · ولم يكن ذلك مثبطا لجهود مصر الكشفية في هذه المناطق ، بل كان دافعا لارسال المزيد من الحملات والبعثات الكشفية · الأمر الذى أدى فى النهاية الى نشوب الحرب المصرية الحبشية (سنة ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦) ، كمـــا أدى الى توقيع المعـــاهدة المصرية البريطانية فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ والتى اعترفت فيها انجلترا بسيادة مصر على الساحل الصـــومالى حتى رأس حافون على المحيط الهندى ·

استكشافات « صمويل بيكر » في أعالي النيل الأبيض

تركزت جهود مصر الكشفية في منطقة أعالى النيل الابيض بشكل ملحوظ ويرجع سبب ذلك الى ما كانت تمثله هذه المنطقة من أهمية خاصة لمصر حيث تقع بها هضبة البحيرات الاستوائية ، التى منها ينبع نهر النيل شريان مصر الحيوى ، الأمر الذى كان يخشى منه وقوع هذه المنطقة فى أيدى الاستعمار الأوربى الذى بدأ يتوغل اليها فى هذه الفترة مستفيدا بما قام به المستكشفون والتجار الأوربيون ورواد البعثات التبشيرية من دراسة لهذه المنطقة الغنية بثرواتها الطبيعية فكان في ذلك خطورة بالغة على حياة مصر ومستقبلها ، ومن ثم كان يقتضى عيلها فرض سيطرتها على منطقة أعالي النيل الأبيض قبل أن تسبقها الى ذلك الدول الاستعمارية وأن تستكمل دورها في استكشاف المنطقة بعد آن توقف في الأربعينات من القرن الماضى

عند مدينة « غندكرو » على خط عرض ٤٢ ٤° شمالا وخط طول ٤٦ ٣١° شرقا ٠

وبالفعل اعتزم الخديو اسماعيل ارسال حملة عسكرية كشفية الى الأقاليم الواقعة جنوب « غندكرو » لادخالها تحت الادارة المصرية المنظمة ، شجعه على ذلك الأمير « دوجال » أمير ويلز وولى عهد انجلترا (الملك ادوارد السابع فيما بعد) ـ الذى كان فى زيارة رسمية الى مصر فى أوائل سنة ١٨٦٩ ـ فقد أكد للخديو بأن ارسال الحملة المطلوبة سوف يقضى على تجارة الرقيق المنتشرة فى أعالى النيل الأبيض وفى الوقت نفسه ينفى تشكك الأوربيين والانجليز منهم بصفة خاصة فى اخلاص مصر لمقاومة تجارة الرقيق ٠

وأخذ الخديو فى اعداد الحملة العسكرية المطلوبة وأعلن انه يفضل أن يتولى أحد الأوربيين قيادة هذه الحملة حتى يثبت للعالم الأوربى صدق رغبة مصر فى الغاء تجارة الرقيق من أفريقيا ٠ كان طبيعيا أن يلفت ولى العهد الانجليزى نظر الخديو الى « صمويل بيكر Samuel Baker » الذى كان ضمن الوفد الانجليزى المصاحب للأمير فى زيارته لمصر ـ ليتولى قيادة الحملة فأبدى الخديو على الفور موافقته باسناد قيادة الحملة العسكرية

المرسلة لالحاق أعالى النيل الآبيض بأملاك مصر الافريقية واستكشاف مناطقها الى « صموويل بيكر » .

ولم يكن الخديو موفقا فى اختيار « بيكر » لقيادة الحملة المصرية اذ كان «بيكر» داعية للاستعمار الاوربى فى افريقيا بعد رحلته الكشفية الاولى للقارة واكتشافه بحيرة البرت نيانزا سنة ١٨٦٤ . وقد ظل « بيكر » يردد دعوة الأوربيين لاستعمار افريقيا حتى بعد الحاقه بخدمة الحكومة المصرية . ويوجه دعوته بصفة خاصة الى بلاده انجلترا كى تسارع لاستعمار المناطق الاستوائية حيث انها تعد ميدانا عظيما . على حد قوله ــ لتنفيذ المشروعات الانجليزية .

وبالطبع رحبت الحكومة الانجليزية باسناد قيادة الحملة المصرية الى « صموويل بيكر » لأنه يعد خير من يعاونها فى زيادة معرفتها بمنطقة أعالى النيل ، لتتمكن بعد ذلك من ممارسة سياستها فى مقاومة تجارة الرقيق وبالتالى نشر نفوذها فى المنطقة .

وفى ٢٧ مارس سنة ١٨٦٩ وقع « بيكر » على عقد الاستخدام الذى تعهد فيه بالدخول فى خدمة الحكومة المصرية لمدة أربع سنوات تبدأ من أول ابريل سنة ١٨٦٩

براتب سنوى قدره ١٠٫٠٠٠ جنيه مع منحه رتبة الفريق وخوله الخديو سلطات مطلقة حتى السلطة المتعلقة بالاعدام سواء لكل من له علاقة بالحملة او من اهالى المنطقة التى سيدير حكمها . ثما بعث الى سائر الحكام ونظار الاقسام ومشايخ وعمد الاهالى والعربان بالاقاليم السودانية يخبرهم بتعيين « صمويل بيكر » كمأمور على الجهات الاستوائية التى سيفتحها وعليهم تسهيل مهمته وتلبية أوامره .

وبعد تجهيز الحملة بكل ما يلزمها من المؤن والمعدات والمهمات اللازمة اقلعت من السويس فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٦٩ لتصل الى الخرطوم فى ٨ يناير سنة ١٨٧٠ وبعد أن قضى بها قرابة الشهر أبحر منها صاعدا النيل الابيض حتى وصل الى فاشودة ومنها وصل فى ١٦ فبراير سنة ١٨٧٠ الى ملتقى النيل الأبيض بنهر السوباط ثم ملتقى النيل ببحر الزراف ، وهناك قرر السير فى الزراف اختصارا للمسافة وهروبا من منطقة السدود النباتية الكثيفة التى تعترض المجرى الرئيسى لبحر الجبل ، ولكنه ما أن سار فيه أياما حتى اعترضته سدود نباتية أخرى قضى جنود الحملة نحو شهرين يحاولون اختراقها دون جدوى بسبب عدم توافر الأدوات الكافية لقطع السدود النباتية وسحبها ، فاضطر « بيكر »

عندئذ الى العودة شمالا بعد أن تأكد له عـدم جـدوى اتمام الرحلة الى « غندكرو » عن طـريق بحر الزراف لضحالة مياهه وكبر حجم المراكب التى تقل الجنود فضلا عن كثافة السدود النباتية وصعوبة اختراقها ٠

وقد فضل « بيكر » الانتظار لمدة عام حتى يحـل موعد الفيضان ويرتفع منسوب ميـاه النيـل فتتمكن مراكب الحملة عنـد ذلك من مواصـلة طريقهـا الى «غندكرو» عبر بحر الجبل والتغلب على منطقة سدوده النباتية بعد أن تتوافر للحملة الأدوات اللازمة لذلك ٠ ورفض « بيكر » أن يعـود الى الخرطوم وفضـل اقامة معسكر للحملة بالقرب من التقاء النيـل الأبيض بنهر السوباط ، وقام هناك بتأسيس محطة عسكرية ثابتة فى غابة تقع فى مكان مرتفع عنـد خط عرض ٢٥ ٩° شمالا وخط طول ٢٤ ٣١° شرقا وقد أسماها التوفيقية نسبة الى ولى العهد محمد توفيق باشا ٠

وقد أرسل «بيكر» رسالة الى الخديو أوضح فيهـا نتائج اكتشافاته فى منطقتى « فاشودة » و «التوفيقية» فذكر أن عدد سكان فاشودة يقدر بحوالى مليون نسـمة وهم من قبائل « الشيلوك Shilluk » التى يتميز أفرادها بطول الأجسام ونحافتها مع طول السـاقين والذراعين

وبشرتهم سمراء بطبيعة الحال • وهم يحترفون الزراعة ويمتلكون الماشية بأعداد كبيرة ، ويعرف عن هؤلاء شدة كرههم لكل من هو اجنبى عنهم • وتمتاز منطقة فاشودة بخصوبة أرضها وصلاحيتها لزراعة القطن فاذا ما وجدت زراعة القطن فى تلك المنطقة العناية والاهتمام اللازمين لأمكن زراعة ما يقرب من عشرين ألف فدان من القطن مدة ثلاث سنوات على الأقل •

وقال عن « التوفيقية » • ان أراضيها صالحة لزراعة القطن والذرة وبعض الخضراوات وأن بهنا أشجارا كثيرة تعتبر ينبوعا لا ينضب من الأخشاب • ولهذا فان المنطقتين : فاشودة و « التوفيقية » تعتبران منجما ذهبيا لا يحتاج الى غير العمل النشط مما لا يتوافر دائما فى هذه الأقاليم الاستوائية • وفى أول ديسمبر سنة ١٨٧٠ استأنف « بيكر » رحلته الكشفية وتمكن جنوده من اختراق منطقة السدود فى ١٩ مارس سنة ١٨٧١ فأستكشفوا بذلك الصعوبات التى تحيط بمنطقة السدود وامكانية التغلب عليها بعد أن ظلت هذه المنطقة زمنا طويلا عقبة ترتد أمامها جهود المستكشفين لأعالى النيل الأبيض •

وقد أدى نجاح الجنود فى اختراق منطقة السدود الى ارتفاع روحهم المعنوية وبالتالى الى مواصلة رحلتهم

الكشفية فبعد مرورهم ببلدة « شانبيه » وبمساكن « البور » و « الشير » وصلوا في ١٥ أبريل سنة ١٨٧١ الى بلدة « غندكرو » وعندها أنشأ « بيكر » محطة عسكرية احاطها بخندق اقام فوقه ستة مدافع لحمايتها، كما أمر ببناء الاستحكامات ومساكن للجنود ومخازن لحفظ الأسلحة والذخيرة ومؤن الحملة • ولم يغب عن باله القيام بزراعة بعض المحاصيل لاختبار مدى صلاحيتها للتأقلم بالمناطق الاستوائية • وأعلن ضم هذه المنطقة رسميا الى الادارة المصرية ورفع العلم المصرى عليها ، وأطلق على غندكرو اسم «الاسماعيلية» تيمنا باسم الخديو اسماعيل واختارها عاصمة لمديرية خط الاستواء التى أمره الخديو بتولى ادارتها بعد فتح الأقاليم الاستوائية • وقام من هناك باستكشاف شلالات النيل الأبيض الواقعة جنوب « غندكرو » (الاسماعيلية) وجاءت نتائج اكتشافاته لتؤكد صلاحية الملاحة في بحر الجبل ابتداء من غندكرو حتى منطقة « الرجاف » حيث يكون جريان النهر بطيئا ، أما فيما بعد هذه المنطقة فيكون النهر سريع الجريان قوى التيار شديدا الانحدار لا تصلح الملاحة فيه بسبب سلسلة من الجنادل والشلالات تعترض مجراه وتمتد لمسافة خمسة وسبعين ميلا تقريبا تبدأ بجنادل « بدن Bedden » ثم جنادل « مكيدو

« Mekiddo » فجنادل « جوجى Gouji » ثم جنادل « يربورا Yerbora » وبعدها بمسافة قليلة تأتى شلالات « فولا Fola » التى تعد أكبر عقبة تعوق سير الملاحة فى النهر حيث يبلغ ارتفاعها حوالى اثني عشر مترا ٠

وفي ٢٢ يناير سنه ١٨٧٢ غادر « بيكر » الاسماعيلية على رأس حملته الكشفية عازما ان تسلك الحملة الطرق البرية ابتداء من بلدة « بدن » التى تصعب عندها الملاحة في النهر كما توصل الى ذلك فى استكشافاته الأخيرة ٠ وبالفعل بعد وصوله الى بلدة « بدن » أخذت الحملة تسلك الطريق البرية الموازية للنهر فوصلت الى بلدة « لابوريه Lboré » ومنها وصلت الحملة فى ٢ مارس سنة ١٨٧٢ الى سهل جبلى تكثر به الأشجار المختلفة ويبعد عن « لابوريه » بمسافة ستين كيلومترا تقريبا ويعرف بسهل « افودو Affouddo فأسس به « بيكر » محطة عسكرية وغير اسمه الى «الابراهيمية» نسبة الى ابراهيم باشا والد الخديو اسماعيل ٠ ولم يمكث بالابراهيمية وقتا طويلا اذ اتجه جنوبا وعسكر بجنوده في جبل شوا Shoua ثم دخل بلدة « فاتيكو Fatiko » فى ٦ مارس سنة ١٨٧٢ حيث أقام بها أيضا محطة عسكرية شيد بداخلها مخزنا من الأحجار الشديدة الصلابة لحفظ الأسلحة والذخائر ٠

وقد حرص « بيكر » على استكشاف الطرق البرية التي سلكتها الحملة ابتـداء من بلدة « بدن » حتى وصولها الى « فاتيكو » مبينا عدم صلاحيه هـذه الطرق للسفر والمواصلات وذلك بسبب كثرة الارتفاعات والانخفاضات بها فضلا عن وجود النباتات والاعشاب الطويلة وكذلك الغابات ذات الاشجار الكثيفة والتي تتشابك فيما بينها مؤلفة حواجز طبيعية امكن لهـا في بعض الأوقات من أن تسد طرق المواصلات كما سببت الأمطار الغزيرة والتي تتساقط هناك لمدة تسعة أشهر، تبدأ من ابريل حتى نهاية ديسمبر ، في تكوين الحفر العميقة والمستنقعات الواسعة مما أدى الى صعوبة السير في هذه الطرق .

واصلت حملة « بيكر » الكشفية رحلتها بعـد ذلك فوصـلت في ٢٢ مارس سـنة ١٨٧٢ الى بلدة « فويرا Fowira » الواقعة عند نيل فيكتوريا على بعد مائة وأربعين كيلومترا من « فاتيكو » . وكانت « فويرا » تابعة في ادارتها لمملكة « آونيورو Onyoro » الواقعة شرق بحيرة ألبرت والتي كان يحكمها في ذلك الوقت الملك «كاباريجا Kabarego » الذى قدم ولاءه التام للحكم المصرى دون تردد وأمد الحملة بالمؤن التي تحتاج اليهـا وكان في تعاون الملك « كاباريجا » مع الحملة ما دفعها للوصـول

الى عاصمته « ماسندى Masindi » في ٢٥ ابريل سنة ١٨٧٢ بعد أن مرت في طريقها ببلدتي كيزونا « Kisonna » و « كوكى Koki » وبوصول الحملة الى « ماسندى » قام « بيكر » بعملية استكشاف سريعة لها فوجدها تقع على خط عرض ٤٥ ١° شمالا وخط طول ٢٥ ٣١° شرقا وتبعد عن بحيرة البرت مسافة عشرين ميلا تقريبا وبينها وبين الاسماعيلية مسافة ٣٤٩ ميلا تقريبا بالطريق البرية ، كما تقع في الاتجاه الغربي منها وعلى بعد ثمانين كيلومترا تقريبا سلسلة الجبال الغربية التي تمتد بجوار بحيرة البرت نيانزا ، كما وجدها تقع في مكان مرتفع الى حد ما غير مستوى السطح وتكثر بها الأشجار والأعشاب الطويلة ٠

هذا وقد أعلن «بيكر» في احتفال كبير أقامه في ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ دخول مملكة « أونيورو » تحت الادارة المصرية ورفع العلم المصرى على أرضها واختار « كاباريجا » حاكما عليها باسم مصر ، الا أن كاباريجا ناصب حملة بيكر العداء بعد ذلك بسبب رفض « بيكر » مساعدته في حروبه ضد عمه ومنافسه على العرش « ريونجا Rionga » ٠ وقد انتصرت الحملة المصرية في حروبها ضد « كاباريجا » وأهالى «ماسندى» كما أن « ريونجا » أعرب « لبيكر » عن ولائه التام للحكم

المصرى ، فأرسل له « بيكر » قوة عسكرية ساعدت فى دخول « أونيورو » وخلع « كاباريجا » وتوليته حاكما عليها بدلا من « كاباريجا » باسم مصر ٠

وتجدر الاشارة الى آن وفدا من مملكة اوغندا المجاورة لبلاد اوينورو والواقعة فى شمال وغرت بحيرة فيكتوريا ــ كان قد تقابل مع « صمويل بيكر » وأعلن له ترحيب بلاده باقامة علاقات الود والصداقة مع الحملة المصرية التى هزمت « كاباريجا » العدو الذى يهدد مملكتهم دائما ٠ وقد رحب « بيكر » باقامة هذه العلاقات بيد أنه لم يسع لتحقيقها متعللا بقرب انتهاء عقده فى أول ابريل سنة ١٨٧٣ ٠ والحق أنه كان يرغب فى عدم وصول النفوذ المصرى الى أوغندا أهم وأغنى المناطق الاستوائية وتفضيل النفوذ الانجليزى عنه تمشيا مع سياسته الداعية للاستعمار الانجليزى فى المناطق المهمة من القارة الأفريقية ٠

على آية حال تفرغت الحملة المصرية بعد حروبها مع أهالى أونيورو بمحاربة رجال زريبة « أبى السعود » تاجر الرقيق الذى كان ينوى القضاء على الحملة المرسلة أساسا لمناهضة تجارته المربحة وانتهى الأمر بهزيمة رجال الزريبة واستسلام أهم قوادها ويدعى «ولد الملك» ودخوله فى خدمة الحكومة المصرية وترحيل أبى السعود

الى الخرطوم فى نوفمبر سنة ١٨٧٢ لاجراء التحقيق معه فى الوقت الذى تمت فيه مصادرة كل ما بمخازنه من عاج .

بعد ذلك تفرغت الحملة المصرية للقيام بالأعمال العمرانية فى البلدان التى فتحتها فى منطقة أعالى النيل الأبيض والتى جعلت منها وحدة ادارية واحدة سميت « مديرية خط الاستواء » فقد بذلت الجهود المصرية فى سبيل تمدين هذه الجهات وادخال وسائل الحضارة الحديثة بها كالعمل على احلال الأسلحة النارية محل الأسلحة التقليدية المعروفة لديهم حينذاك والممثلة فى الحراب والسهام والسيوف ، والعمل كذلك على تعبيد الطرق البرية بقدر المستطاع واقامة المواصلات المختلفة وانشاء المحطات التجارية واقامة الاستحكامات والتحصينات وتحديد التخوم السياسية بين البلدان التى مرت بها الحملة المصرية ، فضلا عن الاهتمام بأمور الزراعة والصناعة والتجارة ونشر الأمن والتعليم والنظافة بين الأهالى .

انهى « بيكر » مهمة حملته فى أول ابريل سنة ١٨٧٣ حيث كان اليوم الذى تنتهى فيه مدة خدمته لدى الحكومة المصرية ولذا رحل من الاسماعيلية الى فاشودة

ثم الى الخرطوم فالقاهرة التى وصلها فى ٢٤ اغسطس سنة ١٨٧٣ وقد قابله الخديو وانعم عليه بالنيشان العثمانى من الدرجة الثانية تقديرا لجهوده . كما انعم على الضباط المصريين المرافقين للحملة بترقيتهم الى رتب أعلى تكريما لهم على أداء مهمتهم وتقديرا لجهودهم .

وكان بيكر قد قدم للخديو تقريرا كاملا عن حملته المصريه موضحا فيه نتائج اكتشافاته في البلدان التى مرت بها الحملة . وكان مما ذكره ان بمرور الحملة المصرية على البلدان الكثيرة ابتداء من فاشودة حتى ماسندى قد اتاح لها استكشاف الكثير عن حياة الاهالى المحليين سكان هذه المناطق خاصة فيما يتعلق باوصافهم وعاداتهم وطرق معيشتهم واهم الأعمال التى يقومون بها كالرعى والزراعة والصيد والتجارة والصناعة . فيؤكد « بيكر » نتيجة لاستكشافاته بأن هناك كثيرا من الصفات والعادات تتشابه بين سكان هذه المناطق مما يدل على نشأتهم المتقاربة كما أن هناك أيضا اختلافات واضحة بين منطقة وأخرى سواء فى طبيعة سكانها أو فى أرضها . فمن الصفات المشتركة بين السكان حديثهم فى الأعمال التى يقومون بها وميولهم الطبيعية الى الغدر والشراسة فى الانتقام فضلا عن صعوبة التفاهم معهم . أما عن عاداتهم فغالبا ما تكون فى إقامة حفلات الغناء

والرقص حيث يقيمها الرجال وأولادهم بعد الانتهاء من أعمالهم اليوميه واحيانا ما تشترك فيها زوجاتهم وبناتهم ·

أما أوجه الاختلاف الواضحة فتتعلق بالملابس التى يرتديها هؤلاء فبينما يكون رجال المناطق الممتدة من « فاشودة » حتى « فانيكو » عرايا دائما نجدهم ابتداء من « فاتيكو » حتى « فويرا » يرتدون معاطف جلدية تغطي أكتافهم وصدورهم فقط · أما النساء المتزوجات فى المنطقتين فعادة ما يضعن حول وسطهن حزاما جلديا تثبت به قطعتان مثلثتان من الجلد احداهما أمامية والأخرى خلفية بينما تظهر الفتيات غير المتزوجات وقد تعرين تماما من ملابسهن وفى ذلك يكون الفرق بينهن وبين المتزوجات ·

وأكد « بيكر » أن الأهالى فى البلدان التى مرت بها الحملة المصرية يهتمون بالرعى أساسا · وهذا مرجعه الى حبهم الشديد لماشيتهم من الأبقار والأغنام حتى أن كثيرا من الحروب كانت تنشب بين القبائل بسبب اختطاف قبيلة ما قطعان ماشية القبيلة الأخرى · كما لاحظ « بيكر » أن الاشتغال بالزراعة يتنوع من منطقة لأخرى حسب درجة خصوبة الأرض ومدى اهتمام الأهالى بها ·

ويذكر أن الأهالى هناك قد استفادوا من روث الابقار والأغنام والابل والخيول في تسميد الأرض ، كما استخدموا الالات الحديدية في تجهيز الأرض للزراعة خاصة تلك التي أزالوا عنها الحشائش الطبيعية او أحرقوا ما بها من اعشاب لتزداد مساحة الأراضي المنزرعة • كما يقوم الكثير من الأهالى بصيد الأسماك كما يفضل البعض منهم صيد التماسيح وأفراس النهر والفيلة وغيرها من الحيوانات وذلك اما لأكل لحومها أو للاتجار بها خاصة الفيلة التى تدر عليهم ربحا وفيرا من تجارة سن الفيل (العاج) •

وعلى الرغم من الاكتشافات التى توصل اليها « صموئيل بيكر » عن حياة سكان المناطق الأفريقية التى مرت عليها حملته المصرية فانه فشل فى تحقيق الأهداف الأساسية التي أرسلت من أجلها وهى اجراء الاستكشافات الجغرافية عن منابع النيل اذ انها لم تتمكن من الوصول الى بحيرة البرت نيانزا ، كما كان مقررا لها من قبل أو الى بحيرة فيكتوريا نيانزا برغم وصولها الى نيل فيكتوريا الذى يربط بين البحيرتين • وربما يعود سبب ذلك الى حالة الحرب التى كانت عليها الحملة المصرية فى بلاد « أونيورو » الواقعة فى شرق بحيرة البرت نيانزا ومناصبة الملك « كاباريجا » لها العداء •

كما فشلت الحملة في الضرب على أيدى تجـــار الرقيق ادخال التجارة المشروعة حيث أن مدة السنوات الأربع (١٨٧٠ ــ ١٨٧٣) التي قضتها الحملة في هذه المناطق كانت لا تكفي للقضاء على تجارة الرقيق ــ التي ألفها الناس هناك لسنوات طويلة خلت، وأصبحت تشكل ركنا مهما من حياتهم ومجتمعاتهم ــ واحلال التجــارة المشروعة محلها •

ويمكن القول بأن مسئولية فشل الحملة في تحقيق أهدافها انما تقع في مجملها على كاهل «بيكر» اذ اعتبر نفسه غازيا جاء الى هذه المناطق الأفريقية عــلى رأس حملة عسكرية لغزوها واخضاعها لسلطان الحــكومة المصرية • كما اعتقد بأنه يمكن مناهضة تجارة الرقيق دفعة واحدة دون أن يسمح لها بأخذ المراحل الانتقالية للقضاء عليها ، وهو الأمر الذى يحتاج الى عنصر الزمن لتحقيقه • فعلى الرغم مما كانت لديه من خبرة كشفية سابقة بالمناطق الأفريقية وبطبيعة سكانها فانه كانت تنقصه اللباقة السياسية في التقرب الى الاهالى المحليين وكسب ودهم وثقتهم بدلا من أن يتبع معهم سياســة العنف والشدة للحصول على مؤن الحملة أو استخدامهم كحمالين لنقل متاع الحملة •

وتجدر الاشارة أخيرا الى أن هذه الحملة كانت قد أثقلت كاهل الميزانية المصرية اذ بلغت جملة نفقاتها ما يقرب من مليون جنيه في الوقت الذى كانت تعانى فيه مصر ضيقا ماليا شديدا ، فضلا عن جملة خسائرها في عدد الأفراد والتي تراوحت ما بين ستمائة وسبعمائة فرد بين قتيل ومريض وهارب ومفقود .

الفصل الرابع

استكشافات « غوردن » فى أعالى النيل الأبيض

أرادت مصر بعد فشل حملة « بيكر » أن ترسل حملة كشفية أخرى الى منطقة النيل الأبيض لتحقيق الأهداف التى أخفق « بيكر » فى تحقيقها وأن تعمل فى الوقت نفسه على انشاء سلسلة من المحطات العسكرية تمتد بامتداد مجرى النيل حتى منابعه فى منطقة البحيرات الاستوائية ويكون ذلك برضاء القبائل وشيوخها ·

واختارت الحكومة المصرية وللمرة الثانية شخصية أجنبية أخرى دون أن تدرى بأن شخصية « بيكر » الأجنبية كانت تعد سببا رئيسيا أدى الى فشل حملته · اختارت الحكومة المصرية تشارلس جورج غوردن Charles George Gordon · وكان اختياره بايعاز من الحكومة الانجليزية أيضا بل أن الحكومة الانجليزية

كانت قد اشترطت على الخديو ـ فى حالة موافقتها على تعيين غوردن فى خدمه الحكومة المصرية ـ ضرورة فصل مديرية خط الاستواء عن حكمدارية السودان واعتبارها مديرية قائمة بذاتها وان يكون غوردن حاكما مستقلا فى عمله وشئونه وحساباته عن الحكمدارية ، لأن بعد المسافة بينهما يؤدى الى التأخير فى تصريف أمورها مما كان سببا فى فشل حملة « بيكر » . ولعل اشتراط الحكومة الانجليزية وما تذرعت به من حجج واهية ما يكشف عن نواياها الاستعمارية التى تبدو واضحة فى الرغبة فى فصل المديرية الاستوائية عن حكمدارية السودان وانفراد « غوردن » بحكمها . وذلك لكى يتمكن بالتالى من تقوية النفوذ الانجليزى هناك . وقد وافق الخديو على شرط الحكومة الانجليزية مادام انه سيساهم فى تحقيق أهداف مصر الكشفية فى المناطق الأفريقية .

وبالفعل وصل « غوردن » الى القاهرة فى ٦ فبراير سنة ١٨٧٤ وبعد عشرة أيام صدرت اليه تعليمات الخديو الخاصة بمهمته الأساسية فى المديرية الاستوائية والتى تتلخص فى العمل على تنظيم الادارة واقرار الأمن بها ومراقبة نشاط تجار الرقيق واحتكار تجارة العاج باعتبارها التجارة التى كان يستند اليها

تجار الرقيق فى الانتقال بالرقيق من جهة الى اخرى والعمل كذلك على نشر التجارة المشروعة بين الأهالى وتدريبهم على استخدام « النقد » فى معاملاتهم التجاريه بدلا من نظام المقايضة • وفيما يتعلق بالاجراءات الكشفية فقد تعين على « غوردن » تتبع مجرى النيل من الاسماعيلية (غندكرو) الى البحيرات الاستوائية لاختبار مدى صلاحيتها للملاحة وارسال الضباط والمهندسين فى بعثات استكشافية لهذه البحيرات التى حولها مع رسم الخرائط التوضيحية لها •

وبعد أن وافق غوردن على تنفيذ هذه التعليمات الخديوية مقابل راتب سنوى قدره الفان من الجنيهات صدر اليه الأمر العالى بتعيينه مأمورا على مديرية خط الاستواء • وتعاونت الأجهزة الادارية والحربية فى مصر والسودان من أجل اعداد حملة غوردن الجديدة • وقد اختار « غوردن » مجموعة من الضباط الأجانب للقيام باجراء الاستكشافات المطلوبة فى منطقة البحيرات الاستوائية منهم : شايى لونج Chaille Long » و « ماسون Mason » وواطسون Watson وشيبندال Chippendel ورمولوجيسى Romolo Gessi وأرنست لينان دى بلفون Ernist Linant De Bellefonds

على أية حال غادر غوردن القاهرة فى ٢١ فبراير سنة ١٨٧٤ في طريقه لمنطقة أعالى النيل الابيض فوصل الخرطوم في ١٣ مارس ثم غادرها فى ٢٢ مارس ليصل في ٢ أبريل الى منطقة مصب نهر السوباط في النيل الأبيض وأقام عندها محطة عسكرية سميت بالسوباط هدف منها مراقبة طرق المواصلات النهرية ومصادرة مراكب الرقيق بها • ثم وصلت الحملة بعد ذلك الى بحيرة « نو » وعندها قام غوردن باجراء استكشاف سريع لها فوصفها بأنها بحيرة ضحلة واسعة تمتد الى الغرب لمسافة سبعة أميال تقريبا ويصب بها النهر الممتد من بلدة « مشرع الرق » والمسمى بحر الغزالى والذى يتصل عندها أيضا ببحر الجبل • وعلى الرغم مما يحيط بها من مستنقعات فان الاراضى الممتدة بجوارها تكثر بها الأشجار مما أفاد الحملة المصرية فى استخدام أخشابها للوقود بدلا من الفحم •

وفى ١١ ابريل سنة ١٨٧٤ وصلت حملة غوردن الى بلدة « بور » بعد أن مرت بغابة شانبيه وأسست بها محطة عسكرية وقد جعل غوردن من بلدة« بور»والأراضى المحيطة بها مديرية أسماها مديرية « بور » وذكر أن أراضى « بور » صالحة للزراعة حيث تنتشر زراعة الذرة والسمسم والتبغ بكميات كبيرة ، كما تمتاز بكثرة

الغابات الكثيفة بالأشجار وعلى الرغم من وجود الأعداد الكبيرة من الأبقار والأغنام والماعز فان أهالى « بور » — وهم من قبائل الدنكا — لا يأكلون لحومها حسب عاداتهم وانما يأكلون لحوم الحيوانات الأخرى كالفيلة والزراف وآفراس النهر ·

واستأنف غوردن رحلته جنوبا فى بحر الجبل فوصل الى الاسماعيلية فى ١٧ أبريل سنة ١٨٧٤ وبعد أن مكث بها فترة من الوقت تأكد من عدم صلاحية الاسماعيلية لأن تكون عاصمة للمديرية الاستوائية حيث أن جوها غير صحى وأرضها رملية مجدبة غير صالحة للزراعة فضلا عن انه ابتداء من شهر ابريل حتى منتصف شهر سبتمبر تندفع مياه الأمطار من قمم الجبال المحيطة بها فتكون مستنقعات كثيرة ذات مياه راكدة ينتشر بها البعوض الذى يحمل معه مرض الحمى · وعندما يصبح ماء النيل تجاهها ضحلا لا تستطيع المراكب الشراعية التجارية الاقتراب من الشاطىء الا بصعوبة بالغة لضحالة المجرى المائى بحيث لا يصلح لرسوها معظم شهور العام ، بالاضافة الى ذلك فان المراكب التجارية وكذلك عمليات طهو الطعام لا تجد حاجاتها من الأخشاب اللازمة لها كوقود بسبب بعد منطقة الغابات التى تستجلب منها الأخشاب عن الاسماعيلية مسيرة ساعتين

أو ثلاث ساعات . ولهذه الأسباب اتجهت نيـة غوردن لاختيار بلدة « لارو » الواقعة على الضفة الغربية لبحر الجبل الى الشمال قليلا من المنطقة المواجهة للاسماعيلية بنحو اثنى عشر كيلومترا ، لتكون عاصمة للمديرية الاستوائية ، نظرا لما عرفه عن خصوبة أرضها وصلاحية تربتها للزراعة ولقربها من ملاحات « أونجاتى » التى تسد حاجة السكان هناك وكذلك لقربها من الغابات الكثيفة بالأشجار مما يمكن الاعتماد على اخشابها كوقود ، كما أن المجرى المائى المطلة عليه عميق وصالح لرسو المراكب بنوعيها فى جميع مواسم السنة ، هذا بالاضافة الى أن جوها صحى نسبيا ويكاد يكون خاليا من الأمراض المتنوعة المنتشرة فى الاسماعيلية .

وفى اليوم الأخير من عام ١٨٧٤ تم الانتقال الى العاصمة الجديدة « لادو » واعتزم غوردن بعد ذلك مواصلة استكشافاته فوصل فى ١٣ مارس سنة ١٨٧٥ الى بلدة « الرجاف » جنوب الاسماعيلية وعندها أراد غوردن استكشاف مجرى النيل جنوب الرجاف لاختيار مدى صلاحيته للملاحة النهرية خاصة بعد أن أكد «بيكر» من قبل صعوبة الملاحة فى النهر جنوب الرجاف بسبب كثرة اعتراض الجنادل والشلالات للمجرى المائى

وهــو الأمر الذى دفع « بيــكر » لأن يســتكمل رحلته الكشفية الى الجنوب سالكا الطرق البرية ٠

وقد بدا غوردن رحلته الكشــفية فى ٣٠ مارس سنة ١٨٧٥ وتمكن من رسم خريطة للمجرى المائى جنوب الرجاف وتسنى له المرور من جنادل « بدن » واقام على الشاطىء الغربى المجاور لهــا محطة عســكرية عــرفت بمحطة « بدن » وتمكن من اجتياز جنادل « مكيدو » حيث وصل الى بلدة « كرى » على بعد ثلاثين كيلومترا تقريبا جنوب « بدن » وأسس بها أيضا محطة عسكرية ، كمــا استطاع المرور من جنادل « جوجى » القريبة من بلدة كرى ووصــل فى ٦ أغســطس ســنة ١٨٧٥ الى بلدة « دوجى » التى تطل على جنادل « يربورا » فأنشأ بهــا محطة عسكرية ٠ كما أمكنه العبور من جنادل «يربورا» ووصل الى بلدة « لابوريه » فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٧٥ حيث استقبله أهل « لابوريه » من قبــائل « المــاوى » بالترحيب وساعدوا فى اقامة المحطة العسكرية التى أمر بتأسيسها هناك ٠

ويتضح من رحلات « غوردن » صــلاحية المجــرى المائى للملاحة النهرية طوال المسافة من جنوب الرجاف حتى « لابورية » بالرغم من وجود بعض الجنادل وهى

ذات المسافة التي اثبت « بيكر » في استكشافاته من قبل عدم صلاحيتها للملاحة النهرية .

أراد غوردن بعد ذلك مواصلة رحلته الكشفيه الى البحيرات الاستوائية فغادر « لابورية » في ٨ أكتوبر سنة ١٨٧٥ في طريقه الى الجنوب وما ان تقدم في مياه بحر الجبل امتارا قليلة حتى سمع ـ على حد قوله ـ صوتا كهزيم الرعد يتزايد كلما مضى في طريقه بالنهر فتوقف بالحملة فوق ضفة صخرية تغطيها النباتات وتهبط الى المجرى بانحدار شديد حيث لمح شلالات « مكدى » الشهيرة باسم « فولا » والتي رأى عندها ماء النيل يفور ويتلوى في دوامات شتى لمسافة ميلين على الأقل وبصورة لا يقوى المرء على تأملها .

وعندئذ أدرك « غوردن » انه لا يمكنه اجتياز شلالات « فولا » أو التغلب عليها ، كما أدرك انه لكي يواصل رحلته الكشفية الى البحيرات الاستوائية يستلزم عليه أن يسلك الطريق البرية قبيل هذه الشلالات حتى بلدة « دوفيليه » . وبالفعل وصل الى بلدة « دوفيليه » بالطريق البرى وأمر باقامة محطة عسكرية بها ثم سار على رأس قوة صغيرة من الجند للتأكد من استقرار الأحوال في المحطتين « فاتيكو » « وفويرا » اللتين

آقامهما « بيكر » ثم تقدم من فويرا فى ٨ يناير سنة ١٨٧٦ لمسافة مائة وعشرين كيلومترا تقريبا وسط الغابات الكثيفة والوديان والسهول حتي وصل الى بلدة « مرولى » التابعة لمملكة آوغندا • وذكر غوردن ان اهم ما لفت نظره في بلدة « مرولى » هو كثرة عدد سكانها وارجع ذلك الى صلاحية ارضها للزراعة حيث تمتاز بالخصوبة الجيدة مما أدى الى استيطان عدد كبير من الأهالى هناك للاشتغال بالزراعة • وقد لاحظ اهتمامهم بزراعة الذرة والبطاطا والموز • كذلك كان لتوافر المراعى الغنية بالاعشاب والحشائش النباتية الفضل فى تزايد عدد السكان الذين كانوا يهتمون بتربية الأبقار والأغنام والماعز ، كما اهتم البعض منهم بصيد الأسماك وذلك باستخدام قوارب الصيد المصنوعة من جذوع الأشجار المجوفة • ومن ناحية أخرى فقد ذكر غوردن آن هؤلاء السكان كانوا يتصفون بالصلابة والجلد والحدة القاسية فى طبائعهم ، كما كانت تحدوهم رغبة شديدة فى شن الحروب فيما بينهم لأجل الحصول على النساء والماشية ولكنهم على الرغم من ذلك كانوا يميلون الى الغناء والرقص فيقضون فيه معظم أوقاتهم وهم يستعدون لذلك بطلاء أجسامهم بأنواع من الشحم ووجوههم بألوان مختلفة واستعمال حلقات حديدية

صغيرة كاقراط تتدلى من الأنف والاذن مع احاطة الذراعين والساقين بأساور عريضة من الخرز الملون -

هذا وقد أمر غوردن فى ابريل سنة ١٨٧٦ بارسال حملة مصرية قوامها مائة وستون جنديا تحت قيادة الضابط المصرى « نوراغا » وبمعاونة الضابط السودانى « محمد أفندى ابراهيم » الى مملكة أوغندا لمقابلة ملكها ويدعى « ام تيسا M'tesa » • والاتفاق معه وديا على انشاء محطة عسكرية فى كل من « أورندجانى » — الواقعة على الحدود الشمالية للمملكة — وفى كوستزا • المطلة على بحيرة فيكتوريا — حتى يتيسر للحملات الكشفية القادمة الى بحيرة فيكتوريا أداء مهمتها • ولما كان الملك الاوغندى حريصا على توطيد علاقاته الودية مع الحكومة المصرية فقد أبدى ترحيبا كبيرا بانشاء المحطتين العسكريتين ببلاده ، بل لقد طالب كذلك بانشاء محطة عسكرية أخرى بعاصمته « روباجا Rubaga أو دوباجا Dubago » كما طلب من الضابط المصرى ابقاء الحامية العسكرية بالعاصمة بدلا من « أورندجانى » المقرر ابقاء الحامية بها •

وكان طبيعيا أن يبارك الخديو هذه الجهود فبعث الى غوردن مهنئا بنجاحه فى الاشراف على تحقيق أهداف

مصر فى الوصول الى مملكة أوغندا وبالتالى الى بحيرة « فيكتوريا نيانزا » وتجدر الاشارة الى أن ابقاء الحامية المصريه باوغندا لم يدم طويلا اذ سرعان ما أصدر غوردن امره بانسحابها من هناك وعودتها الى « مرولى » وكان فى ذلك مدفوعا بنزعته الاستعمارية كما سيتضح فيما بعد ٠

على كل استغل غوردن فرصة وجود القوات المصرية ببلاد أوغندا قبل ان يصدر اليها أمر الانسحاب لكى يقوم بحملته الكشفية الى البحيرات الاستوائية فغادر « دوفيليه » فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٧٦ مستقلا الباخرة نيانزا فى طريقه الى الجنوب وبعد ثمانية أيام وصل الى بلدة « ماجنجو Magungo » فى الشمال الشرقى من بحيرة البرت فاكد صلاحية المجرى المائى للملاحة النهرية طوال المسافة بين « دوفيليه » شمالا وماجنجو جنوبا وأسند ذلك الى اتساع عرض المجرى المائى الذى يصل الى ستة كيلومترات تقريبا ثم الى عدم سرعة جريان النهر حيث يكون قليل الانحدار ٠ ومن ناحية أخرى فقد لاحظ انتشار نباتات البردى الكثيفة على ضفاف النهر وامتداد مزارع الموز بامتداد الأراضى المجاورة له لأنه ــ كما رأى غوردن ــ كان يعد غذاء رئيسيا لسكان هذه المناطن خاصة فى منطقة « ماجنجو » المزدحمة

بالسكان • كما لاحظ ارتداء بعض السكان للملابس الجلدية بينما كان غالبيتهم يتخذون من أوراق الأشجار والقماش المصنوع من لحائها رداء لهم •

أبحر غوردن بعد ذلك شرقا متجها الى « فويرا » متتبعا المجرى المائى لنيل فيكتوريا ولكنه بعد أن مضى به مسافة ثلاثة وثلاثين كيلومترا تقريبا كان قد اقترب بعدها من « شلالات ميرشيزون Murchison Falls » للنزول الى الشاطىء المجاور ليستكمل رحلته سيرا على الأقدام ، اذ أدرك صعوبة استئناف الرحلة بالطريق المائى حيث أن المجرى عند الشلالات ضيق لا يزيد اتساعه على ثمانية أمتار وهدير الماء الساقط من ارتفاع أربعين مترا تقريبا يتكرر دون انقطاع ، هذا فضلا عن أنه كان يعلم مسبقا بوجود شلالات أخرى تسمى «كاروما Karuma » تقع فى الاتجاه الشرقى لشلالات ميرشيزون وتبعد عن بلدة فويرا بمسافة قريبة • وعندما وصل غوردن الى فويرا فى ١٣ أغسطس سنة١٨٧٦ كان التعب قد حل به وبجنوده ، ورغم ذلك فقد استطاع أن يرسم خريطة للمجرى المائى لنيل فيكتوريا ابتداء من « ماجنجو حتى فويرا » • كما أنجز رسم خريطة للمجرى المائى من فويرا الى فرولى • وبهذا يكون قد أتم رسم خريطة لنيل فيكتوريا من ماجنجو الى «مرولى» •

والجدير بالذكر انه رغم النجاح الذى حققه غوردن فى استكشافاته الجغرافية بمنطقة أعالى النيل فان النزعة الاستعمارية كانت دائما تسيطر عليه فقد اعلن فى نوفمبر سنة ١٨٧٥ أن بريطانيا بحكمها لهذه المناطق تستطيع افادة سكانها حضاريا على عكس الوجود المصرى الذى لا يزال حكامه على قدر كبير من التأخر ٠ كما صرح فى أكتوبر سنة ١٨٧٦ بأن مصر لم تعد قادرة على حكم هذه المناطق الأفريقية بسبب تفاقم الأحوال الداخلية خاصة المالية منها مما ينبىء بحدوث أزمة عنيفة بها ٠

ويتضح من هذا أن ثمة رغبة ملحة كانت تدفعه لأن تكون هذه المناطق الوسطى من أفريقيا بعيدة عن النفوذ المصرى ، وبالتالى تتمكن بلاده من أن تمد اليها نفوذها الاستعمارى الذى بدأ ينتشر حينذاك فى جنوب أفريقيا ، واذا هذا كان طبيعيا أن يأمر بانسحاب القوات المصرية من أوغندا كما أمر بسحب قوات مصرية أخرى كانت ترابط فى مملكة « أونيورو » ٠ حدث هذا رغم احتجاج الحكومة المصرية التى اعتبرت أمر الانسحاب اساءة كبيرة لها فى أفريقيا خاصة انه جاء فى الوقت الذى كانت قد أبلغت فيه قناصل الدول الأجنبية بمصر عن امتلاكها لمنطقة البحيرات الاستوائية ٠

وهكذا بعد أن هيأ غوردن لبلاده استعمار هذه المناطق فكر جديا فى العودة الى وطنه الاول فعاد الى « لارو » عاصمة المديرية الاستوائية ثم الى الخرطوم فالقاهرة حيث وصلها فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٧٦ ومنها عاد الى لندن • وهناك كشف النقاب عن نواياه الحقيقية اذ ذكر بأنه لا يود العودة مرة اخرى للعمل فى المديرية الاستوائية كحاكم لها فى ظل الحكومة المصرية مادام أن السودان لا يزال غير خاضع له وتحكمه ادارة منفصلة عن المديرية الاستوائية مما يترتب عليه اضطراب فى شئون الحكم واهتزاز فى أجهزة الأمن يؤدى الى رواج تجارة الرقيق فى الأملاك المصرية بأفريقيا • لذا فهو يفضل فى حالة العودة أن يتقلد وظيفة حاكم عام السودان بما فيه المديرية الاستوائية •

وبالفعل وافق الخديو على اسناد غوردن هذا المنصب الجديد أى منصب الحاكم العام للسودان بما فيه المديرية الاستوائية ، وعاد غوردن للعمل مرة أخرى فى خدمة الحكومة المصرية فى أواخر يناير سنة ١٨٧٧ • وظل يعمل طوال مدة توليه المنصب الجديد على التمكين لبلاده فى المناطق الشاسعة التى يحكمها فى أفريقيا نيابة عن الحكومة المصرية ، فمن ناحية أخذ يستعين بعدد كبير من الأجانب يعملون معه كموظفين بدلا من الموظفين

المصريين والســودانيين . ومن ناحيـــة أخــرى اهتم بضرورة انسحاب القوات المصريه من مناطق كثيرة فى أعالى النيل الأبيض بحجة الابتعاد عن مواطن الاحتكاك بالقبائل الافريقية وتحاشيا لنفقات مواجهتها . والحق أن الهدف من وراء ذلك هو استبعاد النفوذ المصرى من هذه المناطق تمهيدا لاستبداله بالنفوذ الانجليزى . وفى سبيل تحقيق هذا الهدف كان غوردن يتولى نفسه ـ كما ذكرنا سابقا ـ قيادة الحملات المصرية المرسلة لاستكشاف المناطق والمجارى المائية بأعالى النيل الأبيض وذلك لكى يطلع حكومته الانجليزية على نتائج اكتشافاته فى هذه المناطق مما يفيدها فى الوقوف عــلى أحوالها الجــوية وصلاحية الاقامة بها ومعرفة ثرواتها الطبيعية وطبائع سكانها فضلا عن معرفتها بالمجارى المائية الصالحة للملاحة النهرية . وهى أمور تخــدم بطبيعة الحــال المصــالح الاستعمارية فى منطقة أعالى النيل . كما انه حرص من ناحية آخرى على ارسال عدة بعثات أخــرى كشفية تحت اشرافه الى منطقة البحيرات الاستوائية وذلك بهدف زيادة معرفته، وبالتالى معرفة بلاده بأحوال هذه المنطقة . ولما كانت هذه البعثات متعددة الجوانب والأهداف فقــد فضلنا تخصيص الفصل التالى لدراستها حتى يتضــح لنا حجم الجهود التى بذلتها مصر فى الحركة الكشــفية

الأفريقية على الرغم من أوجه الاستفادة الأجنبية وخاصة الانجليزية من هذه الجهود المصرية ٠

ويمكننا أن نستخلص مما سبق أن الحاق غوردن للعمل بخدمة مصر بضغط من الحكومة الانجليزية كان يعني استكمال المخطط الانجليزى الذى بدأته بريطانيا منذ أن سعت لتعيين صمويل بيكر بخدمة مصر والذى كان يهدف الى تحقيق أطماع بريطانيا التوسعية فى افريقيا على حساب مصر لاستخدام خديو مصر كأداة لتنفيذ هذا المخطط الانجليزى ٠

واذا كان « بيكر » قد عمل بقدر استطاعته على التمكين لبلاده فى المناطق الأفريقية التى توصل اليها بمساعدة مصر فبالمثل كانت سياسة غوردن طوال مدة خدمته بمصر سواء وقت أن كان حاكما للمديرية الاستوائية (١٨٧٤ ـ ١٨٧٦) أو حاكما عاما للسودان بما فيه المديرية الاستوائية (١٨٧٧ ـ ١٨٧٩) ٠

بعثات أعالى النيل الأبيض تحت اشراف « غوردن »

١ ـ بعثة شايى لونج « Chaille Long »

حرص غوردن منذ أن كلف بمهام حـكم المديرية الاستوائية فى ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤ على أن يصطحب معه عددا من الضباط المصريين والسودانيين والأجانب ليعتمد عليهم فى قيادة البعثات الكشفية التى كان يزمع ارسالها الى منطقة البحيرات الاستوائية طبقا لتعليمات الحكومة المصرية الصادرة اليه بخصـوص اجراء بعض الاستكشافات فى منطقة البحيرات ٠

غير أننا نلاحظ أن معظم البعثات الكشـفية التى أرسلها غوردن الى المنطقة ، اسـند قيادتها الى ضباط أجانب دون المصريين والسودانيين عـلى الرغم من أن هؤلاء كانوا لا يقلون كفاءة عن الضباط الأجانب ، بل كانوا يفضـلونهم من حيث تحملهم لظـروف الأحـوال

الجوية القاسية بمناطق وسط أفريقيا وخبرتهم بطبائع سكانها واتجاهات قبائلها المتعددة • ولكن نظرة التعصب الأجنبية والنزعة الاستعمارية فرضتا على غوردن اسناد قيادة البعثات الكشفيه المصرية الى ضباط من بنى جلدته ، وللأسف لم تعترض الحكومة المصرية على ذلك ، ولعل عدم اعتراضها يرجع الى حرصها على عدم اغضاب « غوردن » وبالتالى اغضاب حكومته الانجليزية ، كما يرجع الى تطلعها الى كسب صداقة الدول الأجنبية التى ينتمى اليها الضباط الذين استعان بهم «غوردن» •

على كل أعدت المديرية الاستوائية في شهر ابريل سنة ١٨٧٤ أول بعثة كشفية الى مملكة أوغندا تولى قيادتها الضابط الأمريكى « شايى لونج Chaillé Long » وقد غادرت البعثة بلدة الاسماعيلية (غندكرو) فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٤ فى طريقها الى أوغندا بعد أن زودها غوردن بتعليمات تتعلق بالعمل على تقوية روابط الصداقة بين مصر وأوغندا والتفاوض مع « ام نيسا » بشأن اقامة العلاقات التجارية مع مصر وتصدير العاج الأوغندى اليها بدلا من زنجبار، وكذلك استكشاف المجرى المائى لنهر النيل فيما بين الاسماعيلية وبحيرة فيكتوريا تمهيدا لارسال البواخر المصرية الى البحيرة مما يساعد

فى الوقت نفسه على مناهضة تجارة الرقيق فى هـــذه المنطقة ٠

وصلت بعثة « لونج » فى ٢٨ آبريل سنة ١٨٧٤ الى بلدة « موجى » ومنها اتجه الى الجنـوب فعبر نهر « آسوا Asua » دون صعوبة اذ لم يزد عمقه حينذاك على أربعة أمتار وعرضه على سبعين مترا تقريبا ٠ وقد ذكر « لونج » آن عرض النهر يزداد اتساعا فى موسـم الأمطار بدرجة يصعب معها عبوره بدون مراكب فى مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ٠

مضت البعثة فى طريقها بعد عبورها نهر « اسوا » فوصلت فى ٦ مايو الى « فاتيكو » ثم الى « فويرا » فى ١٧ مايو ، وهناك كتب « لونج » تقريرا تضمن نتائج استكشافاته عن الطـرق التى اتبعتهـا البعثـة ٠ فأكد صعوبة استخدام هذه الطرق للمواصلات حيث تكثر بها الارتفاعات والانخفاضات وتغمرها البرك والمستنقعات حتى أعالى التلال المرتفعة منها ، كما تؤدى كثرة الحفر الموجودة بها والتى تسببها أرجل الفيلة بعـد سـقوط الأمطار الى عدم امكانية السير بهذه الطـرق ، ويزداد الأمر صعوبة كلما كان المسير فى الاتجاه الجنوبى حيث تنتشر الروائح الكريهة الناتجة من المياه الراكدة بالبرك

والمستنقعات ، الأمر الذى يسبب معه فساد الهواء الجوى ، وبالتالى انتشار الأمراض وخاصة «الملاريا» .

وفى ١٩ يونيو سنة ١٨٧٤ دخلت البعثة بلدة « روباجا » عاصمة أوغندا وتقابل « لونج » مع «أم نيسا» فى صباح ٢١ يونيو فأبلغه عن لسان غوردن تحيات خديو مصر كما أعرب عن تقدير الحكومة المصرية له وطلب منه أن يسمح له بارتياد بحيرة فيكتوريا لاجراء بعض الاستكشافات الجغرافية بها وكذلك استكشاف النهر الذى ينبع منها ويتجه شمالا . فسمح له الملك بالقيام بجولته الكشفية فى ١٤ يونيو وعندئذ سار لونج بمركبه فى البحيرة مدة ست وثلاثين ساعة تمكن خلالها من الطواف فى جميع جهاتها . وقد ذكر فى تقريره الكشفى أن ماء هذه البحيرة يتميز بعذوبة المذاق وصفاء اللون وهدوء الجريان ، كما أن البحيرة ليس بها مد ولا جزر ولا يزيد عرضها على اثنى عشر أو خمسة عشر ميلا وتكثر بسواحلها التماريج والخلجان وان كانت قليلة بالساحل الغربى .

وقد أراد « لونج » استكشاف النهر الذى ينبع من البحيرة ويتجه الى الشمال غير أن اعتقاد رجال الحرس الأوغندى ، المصاحب له بوجود « أرواح من الجان »

تسكن البحيرة قد حال دون ذلك . فعاد « لونج » ثانية الى « روباجا » فى ١٦ يونيو ثم لم يلبث أن عقد معاهدة مع الملك « أم نيسا » فى ١٩ يوليو ١٨٧٤ أقر فيها الملك بوضع مملكته تحت حماية مصر . والواقع ان ابرام هذه المعاهدة مع « ام نيسا » يعتبر بمثابة نجاح فى تحقيق الأهداف السياسية التى أرسلت البعثة من أجلها الى أوغندا فى الوقت الذى حققت فيه أيضا نجاحا كشفيا بدأ منذ رحيلها من الاسماعيلية فى طريقها الى أوغندا ثم استكملته بعد مغادرتها روباجا فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٧٤ متجهة الى « أورندوجانى » فحينما وصلتها فى أول أغسطس استقل « لونج » وأفراد بعثته ثلاثة قوارب سارت بهم فى نيل فيكتوريا فى اتجاه مرولى . وما كاد لونج يسير فى المجرى المائى بضعة كيلومترات حتى وجد نفسه داخل بحيرة متسعة تسمى كيوجا Kioga فأخذ يتجول بها مدة ثمان وأربعين ساعة اكتشف خلالها انها قليلة العمق اذ لا يزيد عمقها على مترين أو ثلاثة وهى تقع عند خط عرض ٣٠َ ١° شمال خط الاستواء وخط طول ٣٠َ ٣٠° شرق خط جرينتش كما يتفرع منها ألسنة مائية كثيرة فى شكل مستنقعات تتوغل لمسافة طويلة فى الأرض مما يبدو وكأن هناك بحيرات مستطيلة تتشعب منها وتزداد هذه المستنقعات انتشارا فى موسم سقوط الأمطار .

وتجدر الاشارة الى أن اكتشاف البعثة المصرية لبحيرة « كيوجا » كان يعد بمثابة أول اكتشاف لهذه البحيرة اذ كان لا يعرف عنها شيء قبل هذا الاكتشاف المصرى ، ولهذا فقد حرص « لونج » على تغيير اسم « كيوجا » باسم ابراهيم نسبة الى ابراهيم باشا والد الخديو اسماعيل .

والجدير بالذكر أن الخديو اغتبط لهذا الاكتشاف ولنجاح البعثة المصرية فى أوغندا فأنعم على « لونج » برتبة « ميرالاى » ـ أى عميد ـ كما منحه النيشان المجيدى من الدرجة الثالثة تقديرا لجهوده فى خدمة الحكومة المصرية .

هذا وقد كلف « لونج » للمرة الثانية بتولى قيادة حملة مصرية أخرى الى بلاد « مكراكا » Makraka يكون الهدف منها استكشاف هذه البلاد وضمها الى الادارة المصرية وتدعيم وسائل الأمن بها وكذلك استغلال مواردها وخاصة « العاج » الذى يتوافر بكثرة هناك . وبعد أن تم تجهيز كل مستلزمات الحملة الجديدة من الأسلحة والذخائر والمؤن غادرت عاصمة المديرية الاستوائية فى ٣١ يناير سنة ١٨٧٥ متجهة الى الغرب فاخترقت طريقها بصعوبة بالغة وسط أراض غير

مستوية السطح حيث توجد بها الارتفاعات والانخفاضات كما تكثر بها الغابات ذات الأشجار الكثيفه مما كان يساعد الحيوانات المفترسة والطيور البرية على استخدامها كمأوى لها ، بالاضافة الى ارتفاع درجه الحرارة وقلة مصادر المياه • الأمر الذى كان يضاعف من صعوبة السير بهذه الطرق • ولكن على الرغم من ذلك فقد تمكنت الحملة المصرية من الوصول الى موطن قبائل « ينبارى Yanbari » التى اشتهرت بعدائها لكل قادم أجنبى يحاول الاقتراب من مساكنها ، ولذلك استعد «لونج» لمقابلة أفراد هذه القبائل • غير انهم بمجرد رؤيتهم لقوات الحملة المصرية لاذوا بالفرار • وقد اكتشف « لونج » أن أهالى هذه القبائل يعتمدون فى حروبهم على الرماح والسهام ذات الأسنة المسممة اذ تنمو بهذه المناطق نباتات تشبه « الصبار » يكون لها أشواك قاطعة كالسكاكين ويستخرج من أوراقها سائل له تأثير السم ، فكان الأهالى يضعون فيه أسنة رماحهم وسهامهم عدة مرات حتى تتكون بها نتيجة لذلك مادة لزجة سامة تصرع على الفور أى شخص تصيبه هذه الحراب أو السهام اذ لم يكن هناك دواء مضاد لهذا السم •

وصلت الحملة بعد ذلك في ١٠ فبراير سنة ١٨٧٥ الى « خور اليه Khor El-Yeh » وهو نهر صغير تنساب مياهه نحو الشمال حتى تلتقي بمياه بحر الجبل عند غابه « شانبيه » وذكر « لونج » أن هذا النهر صالح للملاحة في موسم سقوط الأمطار فقط أى في الفترة من ابريل الى ديسمبر بينما يبقى دون هذه الفترة غير صالح للملاحة • كما ذكر بأن سكان شواطىء هذا النهر هم من قبائل « الازندى » ويعرفون باسم « نيام ــ نيام » وهي تسمية أطلقت عليهم بسبب تعودهم على اكل اللحوم الآدمية فتشير هذه التسمية الى صوت الطعام حين يلوكه فم النهم • وقد لاحظ « لونج » أن هؤلاء السكان أقوياء البنية ومتوسطو الطول ذو رءوس مستديرة ولون نحاسي داكن يميز بشرتهم عن غيرهم • كما لفت نظره طبيعتهم المرحة وحبهم للغناء والرقص • فذكر أن آلاتهم الموسيقية عادة ما تتألف من الطبول ــ المصنوعة من أشجار الموز ــ والأبواق المصنوعة هي الأخرى من أنياب الفيلة فتصدر تبعا لذلك أصواتا موسيقية مزعجة لا تطرب لها الآذان الغريبة عنهم •

استأنفت الحملة بعد ذلك طريقها في الاتجاه الشرقي فوصلت في ٥ فبراير الى بلاد « مكراكا » وهناك قضت ثلاثة أسابيع تمكن خلالها « لونج » من استكشاف

جانب كبير عن حياة الأهالي في هذه البلاد فذكر انهم من قبائل « الازندى » « نيام ـ نيام » ويتميزون بحبهم للنظام والطاعة واهتمامهم بنظافة مساكنهم ، كما أنهم يحرصون على ارتداء الملابس ويعتنون بنظافتها ويحتقرون كل من يبدو عاريا من ملابسه • كما أوضح « لونج » ان أهالى « مكراكا » يشتغلون بالزراعة التى تعد الحرفة الرئيسية الأولى بينما لا تلقى تربية الماشية اهتمامهم كما هو الحال فى معظم القبائل الافريقية الأخرى • وتحتل زراعة الموز القسط الأكبر من مزروعاتهم باعتباره الغذاء الأساسى لهم كما يزرعون الى جانبه الذرة ، قصب السكر ، البطاطا ، البن والدخان

ومن جهة أخرى أشار « لونج » الى أن قوة أجسام أهالى « مكراكا » ومرونة عضلاتهم قد أفادتهم فى أن أصبحت لديهم مهارة واضحة فى الصناعات اليدوية التى يعملون بها كصناعة الحراب والسهام والسيوف والاقراط الحديدية والنحاسية ، فضلا عن صناعة الفخار والأوانى الفخارية وصناعة الأقمشة سواء المنسوجة من لحاء الأشجار وأوراقها أو المستخرجة من جلود الحيوانات • كما أشار الى كثرة تواجد حيوانات الفيلة بهذه البلاد واقبال الأهالى على اصطيادها للاستفادة من أكل لحومها وصنع الملابس من جلودها بالاضافة الى

الأرباح الطائلة التى يحصلون عليها من تجارة العاج المنتشرة بطبيعة الحال فى هذه المناطق ٠

هذا وقد رأى « لونج » ضرورة ادخال مظاهر الحضارة الحديثة ببلاد « مكراكا » والمناطق المجاورة لها فأعلن ضمها للادارة المصرية وأسس بها محطة عسكرية ترك لحمايتها عشرين جنديا نظاميا ومائتى جندى غير نظامى ٠ ثم غادرها فى ٩ مارس سنة ١٨٧٥ عائدا على رأس حملته المصرية الى « لارو » عاصمة المديرية الاستوائية ٠

وقد انضم الى صفوف الحملة المصرية العائدة ما يقرب من ستمائة وخمسين رجلا من أهالى مكراكا مفضلين العمل فى الجيش المصرى ٠ وكان التحاقهم بقوات الحملة المصرية سببا رئيسيا فى انزال عدة هزائم متكررة بقبائل « ينبارى » التى كانت تتحرش بالحملة فى أثناء عودتها ٠ اذ كان أهالى مكراكا على علم بالأماكن التى كان يختفى بها سكان ينبارى المعتدون ، مما أدى فى نهاية الأمر الى القضاء على شوكة هؤلاء وفتح طريق للمرور والتجارة الآمنة بين النيل الأبيض وبلاد « مكراكا » بعد أن كانت قبائل ينبارى تحول دون ذلك منذ زمن بعيد ٠

٢ ـ بعثة ارنست لينان دى بلفون

Ernest Linant de Bellefonds

اعتزمت مصر بعد عودة « لونج » من مملكة أوغندا في أكتوبر سنة ١٨٧٤ ارسال بعثة أخرى اليها تعمل على توطيد العلاقات الودية وتوثق عرى الصداقة القائمة بين مصر وأوغندا • وقد حرص « غوردن » على أن تكون هذه البعثة بعثة استكشافية في الوقت نفسه فاختار لها ثلاثين جندياً من ذوى الكفاءة كما أسند قيادتها الى الضابط الفرنسي « ارنست لينان دى بلفون » وأمر بتحرك البعثة المصرية من الاسماعيلية في أواخر نوفمبر سنة ١٨٧٤ بعد أن زودها بالمؤن والمعدات اللازمة •

وقد وصلت البعثة في ٦ فبراير سنة ١٨٧٥ الى بلدة « فاتيكو » وهناك بعث « ارنست » بثلاثة تقارير الى غوردن تضمنت النتائج الكشفية التى أمكنه التوصل اليها حتى وصول البعثة الى « فاتيكو » وقد أوضح في هذه التقارير صعوبة المشاق التى يعانى منها المسافر بالطريق البرية من « الرجاف » الى « فاتيكو » حيث أن الأرض على امتداد الطريق غير مستوية السطح فتكثر بها الارتفاعات والانخفاضات كما تكثر بها الأخوار المائية ذات التيار الضعيف والتى سرعان ما تتحول في وقت الأمطار الى مجار مائية قوية التيار • كما أكد

ارنست فى تقاريره نجاح التجارب الزراعية التى قامت باجرائهـا الادارة المصرية فى محطـات : لابـورية ، دوفيليه ، الابراهيمية ، فاشيلى وفاتيكو لاختبـار مدى صـلاحية الأراضى هنـاك لزراعة الخضراوات المصرية كالبامية والملوخية والبصل والفجل والطماطم والفلفل واللفت ، فضـلا عن نجـاح تجربة زراعة القمح فى فى هذه المناطق . وقد أشاد أرنست فى تقاريره بما أحدثته الادارة المصرية فى هـذه المناطق من تغييرات مهمة تمثلت فى تعود الأهالى على ارتداء الملابس بعد أن كانوا لا يرتدونها طبقا لعاداتهم الموروثة ، كما تمثلت فى انهاء محاولات الحروب القبلية التى غالبا ما كانت تنشب بين القبائل خاصة قبائل « البارى » و « المادى » و « الاكولى » « والشولى » بسبب التنافس فيما بينهـا من أجل التوسع فى الأملاك والسيطرة على مناطق الكلأ والاستحواذ على أكبر عدد من الماشية ، كما كانت هذه الحروب تنشب أحيانا بسبب الرغبة فى الحصول عـلى أسرى يمكن بيعهم كرقيق .

أرادت البعثة المصرية بعد ذلك استئناف سيرها الى الجنوب فى طريقها الى أوغندا فرحلت عن فاتيكو فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٧٥ بعد أن قضت بها ثلاثة أسـابيع تمكن خلالها « ارنست » من أن يستكشف جوانب أخرى

عن بلدة « فاتيكو » فأكد بأنها عبارة عن هضبة ترتفع قليلا عن سطح الأرض وتمتد من الشمال الى الجنوب بمسافة ثلاثة كيلومترات تقريبا وتحيط بها من جهة الغرب بعض الجبال بينما تحيط بها من بقية الجهات الأخرى عدة قرى أشهرها قرية « فابو Fabbo » في الشمال « وقرية شاكا Chaka » في الجنوب وتعد « أراضي فاتيكو » صالحة للزراعة وان كان الأهالي هناك لا يهتمون بالزراعة بقدر اهتمامهم بتربية الماشية وصيد الفيلة .

وقد واصل « ارنست » استكشافاته طوال الطريق البرية التي سلكها بعد مغادرته « فاتيكو » متجها الى فويرا فذكر أن بها هضابا كثيرة تمتد لمسافات طويلة وتكثر بها الحشائش والأعشاب مما يعد مرتعا خصبا للعديد من الطيور والأفيال والجاموس والغزلان ومن ثم فان هذه المناطق تعتبر من أهم مناطق صيد الطيور والحيوانات المختلفة في أفريقيا ، فضلا عن انها تعد أيضا من أغنى المناطق موردا للأخشاب بسبب كثرة ما يوجد بها من أشجار متنوعة . وعلى الرغم من ذلك فلم ير هناك أى أثر لجنس بشرى مما يؤكد عدم صلاحية هذه المناطق للاقامة حيث انه توجد هناك اخوار مائية كثيرة منها خور « الزلط » وخور « التوز » وخور

« كابولى » وخور « كورفا » وجميعها تكاد تكـون جافة بسبب قلة ما بها من ماء · كما أكد « ارنست » عـدم صلاحية مائها للشرب حيث يكـون دائما ملـوثا بروث الحيوانات المنتشرة هناك · كذلك فان مجراها المـائى ليس عميقا وغالبا ما تكون ضفتى هذه الأخوار وعرة وذات نتوءات صخرية بارزة ·

والجدير بالذكر أن « ارنست » عند وصـوله الى « فويرا » في أوائل مارس سنة ١٨٧٥ استغل موقعهـا على الضفة اليسرى لنيل فيكتوريا (نهر السومرست) وأجرى استكشافا سريعا لمجرى نيل فيكتوريا وهو ينساب الى جهة الغرب فى اتجاه بحـيرة « البرت نيـانزا » · وجاءت استكشافاته تؤكد بأن المجرى المائى ابتداء من فويرا ولمسافة خمسين كيلومترا تقريبا أى حتى شلالات « كاروما Karuma » غير صالح للملاحة حيث يضيق المجرى ويشتد انحدار الماء وتكثر به الصخور الجرانيتية، فضلا عن وجود الشلالات المائية مثل شلالات « اسـاكا Assaka »وشلالات « كيتوتو Ketotu »» كما ثبت لديه أيضا عدم صلاحية المجرى المائى للمـلاحة فيما بعـد شـلالات « كاروما » بمسـافة تقـدر بحـوالى عشرين كيلومترا وذلك بسبب كثرة ما يوجد به من شـلالات مائية تنتهى بشلالات « ميرشيزون Murchison » أما فيما يلى

هذه الشلالات فيمكن للمراكب أن تجتاز نيل فيكتوريا دون عوائق حتى تصل الى بحيرة البرت نيانزا ٠

على أية حال دخلت البعثة المصرية اراضى اوغندا فى أوائل ابريل سنة ١٨٧٥ وتقابل « أرنست » مع الملك الاوغندى « أم تيسا » فأبلغه تحيات الحكومة المصرية وأخبره أن زيارة البعثة لأوغندا انما تهدف الى تدعيم علاقات الود والصداقة مع أهالى أوغندا ٠ وكان الملك الأوغندى تواقا الى محادثة أرنست للاستفسار منه عن دول العالم المختلفة من حيث معرفة قواتها الحربية ونظمها الحكومية وعقائدها الدينية ٠ وبطبيعة الحال كانت معظم الاستفسارات تدور حول مصر ٠ هذا وقد تعددت اللقاءات بين « أرنست » « وأم تيسا » مما أتاح لقائد البعثة المصرية فرصة التعرف ــ عن قرب ــ على حياة وسلوك الملك الأوغندى ونظامه فى الحكم ٠ فيذكر « أرنست » أن قصر الملك كان يتألف من عدة أكواخ متجاورة ذات اشكال مستديرة تتواجد في وسط العاصمة « روباجا » وتبعد عن أكواخ الأهالى المبعثرة على سفوح تل العاصمة بمسافة قليلة ؛ والبلاط الملكى يضم الى جانب الملك الملقب باسم « كاباكا Koboka » مجلسا استشاريا يعرف باسم « لوكيكو Lukiko » يتكون من عدد من المستشارين يضطلع كل منهم بواجب خاص ٠

فكان منهم آمين الخزانة والقائد العام للجيش وامير أسطول قوارب الحرب وكبير منفذى الاحكام ومدير محضرى « الجمعة » وأمين ذق الطبول وعزف الموسيقى فضلا عن شيخ يمثل كل اقليم يتبع المملكة ويكون عمل هؤلاء وغيرهم تحت اشراف الوزير الأول الملقب باسم « كاتيكيرو Katikiro » وكان على أعضاء هذا المجلس الاستشارى ضرورة ملازمة الملك باستمرار فى مجلسه ومقابلاته اليومية • وان كانت هناك تقاليد سلوكية معنية يجب أن يتقيدوا بها فى البلاط الملكى فليس لأحدهم — مثلا — أن يجلس فى حضرة الملك أو أن يظهر أمامه فى غير الزى الواجب أو أن يتكلم بغير اذن، وعليهم الاستماع الى حديث الملك فى صمت خاشع واحترام تام فاذا انتهى من حديثه انبطحوا على الأرض مرددين فى صيحة واحدة ما يعنى الخضوع له والاستجابة لأوامره ، وهو اجراء أصبح مألوفا لديهم كلما ظهر الملك أمامهم أو خاطبهم ، كما أصبح مألوفا لدى أفراد حاشيته من خدامه ووصفائه وزوجاته البالغ عددهن حوالى مائتين ، واللاتى غالبا ما كان آباؤهن يقدمونهن للملك تكفيرا عن بعض الذنوب •

وتجدر الاشارة الى أن « أم تيسا » كان قد استجاب للمطالب المصرية الخاصة بعدم بيع أو شراء الرقيق فى

مملكة أوغندا كما وافق على حرية الاتجار بالسلع الاوغندية في المحطات المصرية • وربما كانت استجابة الملك للمطالب المصرية هذه قد ارتبطت بحاجته الى كسب ثقة الحكومة المصرية للوقوف بجانبه في حروبه ــ التقليدية ــ ضد « كاباريجا » ملك « اونيورو » منتهزا بذلك فرصة العداء الموجود ــ أصلا ــ بين مصر « وكاباريجا » منذ ايام « صمويل بيكر » • وقد دلت على ذلك محاولات الملك المستمرة في الابقاء على البعثة المصرية أطول مدة ممكنة باوغندا حيث كان يحاول اقناع قائدها وبقية افرادها على معاونته في اخضاع أعدائه • غير أن « غوردن » بعث في هذه الاثناء بما يفيد ضرورة عودة البعثة المصرية الى المديريةالاستوائية مما أدى الى فشل محاولات « أم تيسا » وبالفعل غادرت البعثة المصرية أوغندا في ١٥ يونيو سنة ١٨٧٥ عائدة الى « لارو » عاصمة المديرية الاستوائية • بعد نجاحها في تحقيق المهام التى كلفت بها ، وخاصة فيما يتعلق بالمجال الكشفي ففضلا عما ذكرناه آنفا عن الاستكشافات التى أجراها « أرنست » طوال رحلة وصوله الى المملكة وكذلك ما أوضحه عن حياة الملك الأوغندى ، فقد استكشف جوانب أخرى مهمة عن حياة السكان في أوغندا ، كما أجرى استكشافا للشواطىء الشمالية الغربية لبحيرة فيكتوريا نيانزا ، ففيما يخص سكان

أوغندا أوضح آرنست أن غالبيتهم يعتنقون الاسلام وان كانت هناك بعض الجماعات لم تعتنقه بعد ، ومن ثم فهي تمارس تقاليد بدائية مثل دفن الزوجات وهن على قيد الحياة مع أزواجهن الموتى ، والاعتقاد بامكانية تحضير أرواح السلف عن طريق أعمال السحر والشعوذة وأن هناك قوى أخرى خفية من الجان تسكن جوف الأرض وأعماق بحيرة فيكتوريا نيازا مما يفرض عليهم ضرورة التضحية بالأرواح الحية ارضاء لها . ويتميز سكان أوغندا بالمحافظة على النظام والطاعة والجدية في أعمالهم ، كما يتميزون بعدم ظهورهم عراة . وهم يهتمون بتربية الماشية من الأبقار والأغنام والماعز مستغلين وجود المراعي الكثيرة المنتشرة في أنحاء أوغندا . كما انهم يشتغلون بالزراعة حيث تتميز التربة هناك بالخصوبة الشديدة وان كانت طرق الزراعة عندهم مازالت بدائية فلا يعرفون الآلات الزراعية كالفأس والمحراث والساقية وغيرها وانما يعتمدون على حفر وحرث الأرض بأنواع مختلفة من العصى وعن طريق الأخوار والعيون المائية المنسابة وسط الأرض يمكنهم ريها . وفي الغالب يقبل الأهالي على زراعة الموز والقطن والذرة وقصب السكر والبطاطا وبعض الخضراوات كاللوبيا والقرع والقلقاس . والظاهرة الواضحة هناك هي اهتمام المرأة بفلاحة

الأرض وجنى المحصول عن الرجل الذى يوجه جهوده عادة الى الاشتغال بالصناعة أو التجارة أو الصيد النهرى أو البرى حتى يحقق من وراء ذلك ـ وبواسطة نظام التبادل التجارى المتبع حينذاك ـ عائدا مربحا ٠

وتعد صناعة الحراب والسهام والأقواس والسيوف والأوانى الفخارية والمعدنية من أهم الصناعات التى يمارسها أهالى أغندا ، كما تمثل تجارة العاج وكذا تجارة الرقيق جانبا مهما من حياة السكان. هناك بسبب الاقبال المتزايد عليهما من قبل التجار الأجانب الذين كانوا يجوبون الاسواق الأفريقية للحصول على العاج والرقيق مقابل الأسلحة النارية والذخائر أو بعض المنتجات الأجنبية كالخمور والسجائر والعطور والخزف الصينى ٠٠ وغيرها ٠

أما عن الشواطىء الشمالية الغربية لبحيرة فيكتوريا نيانزا فقد ذكر « أرنست » أن التعاريج والخلجان تكثر بهذه الشواطىء وتحف بها من جميع الجوانب رمال صفراء وتنمو عليها نباتات البردى والأعشاب والحشائش الرفيعة ، ومياه البحيرة تتميز بعذوبتها الشديدة وجريانها الضعيف ٠ وقد لوحظ وجود بعض الجزر الصغيرة بالقرب من هذه الشواطىء ،

كانت تتوافد عليها مراكب الصيادين من أهالى أوغندا لاصطياد الأسماك والتماسيح وأفراس النهر ٠

٣ ـ بعثة « واطسون Watson » وشيبندال « Chippendal »

أرادت مصر استكشاف الطريق النهرية الممتدة بين « دوفيليه » وبحيرة « البرت نيانزا » حتى يمكن ادخال المراكب التجارية بالبحيرة ، كما أرادت التأكد عما اذا كانت بحيرة « البرت » هى آخر مستودع لنهر النيل أم أنها تتبع مجموعة انهار الكنغو المائية وكذلك التأكد من أن نيل فيكتوريا يربط بين بحيرتي فيكتوريا والبرت نيانزا ٠

من أجل هذا كلفت الحكومة المصرية الضابطين الانجليزيين « واطسون » « وشيبندال « بتحقيق هذه المهام تحت اشراف غوردن ٠ وبالفعل غادر الضابطان بلدة « الرجاف » فى ٢٩ يناير سنة ١٨٧٥ على رأس قوة من الجنود المصريين والسودانيين بلغ تعدادهم نحو مائة وثمانين جنديا ومعهم ما يلزمهم من الأسلحة والذخيرة والمؤن٠ وقد ساروا جميعا مسافة مائة وثلاثين ميلا تقريبا وسط الطرق البرية الوعرة والأدغال الموحشة حتى وصلوا الى « دوفيليه » وعندها استقلوا المراكب البخارية للوصول الى بحيرة « البرت » غير انهم

بعد أن بلغوا بلدة « وادلاى Wadlai » التى تبعد عن بحيرة البرت بمسافة خمسين ميلا تقريبا لاحظوا انتشار مرض الجدرى بها وبالمناطق الممتدة جنوبها فى أعالى النيل الأبيض مما جعلهم يتوقفون عن المضى ببعثتهم الى الجنوب واضطروا الى العودة شمالا ، ولم يتمكن الضابطان بعد ذلك من أن يستكملا الرحلة الى بحيرة البرت بسبب مرضهما .

واذا كان الضابطان الانجليزيان قد فشلا فى تحقيق أهداف بعثتهما الكشفية هذه ، فقد سبق لهما خدمة الأغراض الكشفية المصرية حينما قاما برحلة كشفية نهرية من الخرطوم بغرض استكشاف المجرى المائى للنيل الأبيض طوال المسافة الممتدة من الخرطوم الى الاسماعيلية (غندكرو) وقد أثبتا فى هذه الرحلة صلاحية الملاحة بالمجرى المائى طوال هذه المسافة — باستثناء منطقة السدود النباتية ببحر الجبل — حيث يتسع المجرى ويضعف التيار ويقل انحدار النهر فتبلغ درجة انحداره مترا واحدا كل ستين كيلومترا تقريبا . كما أمكنهما أن يحددا خمسة مواقع على امتداد النيل الأبيض عن طريق الملاحظات الفلكية ، كما أتيح لهما فى شهر ديسمبر سنة ١٨٧٤ وأثناء وجودهما ببلدة « الرجاف » أن يرصدا مرور كوكب الزهرة .

٤ ـ بعثة رومولوجيسى Romolo Gessi

كان طبيعيا بعد ان مرض « واطسون » « وشيبندال » ولم يتمكنا من استكمال رحلتهما الى بحيرة البرت ، ان كلف « غوردن » احد الضباط الايطاليين في الجيش المصرى ويدعى « رومولوجيسى » للقيام بمهمة الضابطين المريضين • وبالفعل وصل « جيسى » الى الاسماعيلية فى أكتوبر سنة ١٨٧٥ قادما من الخرطوم ثم لم يلبث أن شرع فى الاعداد للبعثة الكشفية فاختار اثنين وعشرين فقط من الضباط والجنود ليصاحبوه في مهمته كما ألحق معه « غوردن » المستكشف الايطالى « كارلو بيادجيا Carlo Piaggia » يصاحب « جيسى » حتى « ماجنجو » ثم يتجه منها ناحية الشرق مستكشفا نيل فيكتوريا حتى يصل الى بحيرة ابراهيم (كيوجا) •

ويبدو أن « غوردن » قد أراد بارسال « بيادجيا » مع «جيسى» التحرى بدقة عن صلة نيل فيكتوريا ببحيرة ألبرت فبينما يقوم « بيادجيا » بتتبع نيل فيكتوريا حتى خروجه من بحيرة ابراهيم يتفرغ بالتالى « جيسى » لاستكشاف بحيرة البرت ويتأكد من اتصال نيل فيكتوريا بها وخروج نهر النيل منها •

على كل أبحر « جيسى » و « بيادجيا » من دوفيليه في ٧ مارس سنة ١٨٧٦ متتبعين المجرى المائى لنهر النيل (بحر الجبل) حتى وصلا في ٣٠ مارس الى بلدة «ماجنجو» المطلة على بحيرة « البرت » وقد ذكر «جيسي» أن هذا المجرى المنساب جنوب (دوفيليه) يفضى مباشرة الى بحيرة آلبرت ، كما انه يعد صالحا للملاحة ومرور المراكب البخارية حيث لا تعترضه الشلالات أو السدود النباتية ويتميز باتساعه وقلة انحداره وشدة عمقه .

وتجدر الاشارة الى أن « جيسى » و « بيادجيا » كانا قد أرادا الابحار في المجرى المائى لنيل فيكتوريا جهة الشرق للتأكد من صلاحيته للملاحة النهرية غير انهما حينما وصلا فى أول ابريل سنة ١٨٧٦ بالقرب من شلالات « ميرشيزون » توقفا عن الابحار اذ كان لا يمكن مواصلة الرحلة بالطريق النهرية بسبب شلالات « ميرشيزون » وشلالات « كاروما » التى تبعد عنها بمسافة قصيرة . وعندئذ اضطر « بيادجيا » الى أن يواصل رحلته مع جانب من أفراد البعثة المصرية بالطريق البرية حتى فويرا ومنها بالطريق النهرية حتى بحيرة « ابراهيم » بينما عاد « جيسى » مع الجانب الآخر من أفراد البعثة الى « ماجنجو » فأكد أن المجرى المائى بعد شلالات « ميرشيزون » وحتى ماجنجو صالح للملاحة النهرية .

والجدير بالذكر أن جيسى بعد وصوله الى « ماجنجو »

استطاع أن يرفع العلم المصرى فوقها فى ٩ ابريل سنة ١٨٧٦ وسط احتفال افراد البعثة المصرية وترحيب أهالى البلدة بذلك . ثم لم يلبث أن توجه مع أفراد بعثته الى بحيرة البرت نيانزا لاستكشافها . وبالفعل بدأ طوافه بالبحيرة فى ١٢ ابريل سنة ١٨٧٦ حيث استقل مركبه الحديدى وسار بمحاذاة الساحل الشرقى للبحيرة . وقد لاحظ « جيسى » تراكم كميات كبيرة من الرمال والصخور المتماسكة بطول الساحل . كما وجد نباتات البردى والأعشاب الطويلة تنمو بكثرة على امتداد السواحل الشرقية وأوضح أن هناك هضابا مرتفعة تشرف على بحيرة البرت من الجهات الشرقية يتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠ متر و ١٤٠٠ متر تقريبا ، كما يشرف عليها من الجهات الجنوبية الشرقية عدة جبال منها جبل « بيسو » و « نوبار » و « مدرج » وأكد بأن هناك مجموعة من الأخوار المائية تصب فى البحيرة من جهاتها الشرقية منها خور « هويوما Hoyoma » و « انبابيا Wanbabia » و « نانزا Nanza » وذكر « جيسى » عن السواحل الغربية للبحيرة انها أكثر استقامة من السواحل الشرقية وانه يشرف عليها سلسلة جبلية يصل ارتفاعها نحو ٢٤٠٠ متر تقريبا ولاحظ أن سفوحها تنحدر فى مياه البحيرة . كما شاهد بالقرب منها مساحات شاسعة من المستنقعات ينمو

بها أشجار كثيفة . وفى نهاية جولته الكشفية بالبحيرة أوضح ان نيل فيكتوريا يصب بالفعل فى البحيرة فى طرفها الشمالى الشرقى وأن ثمة مجرى مائيا كبيرا يخرج من منطقة المصب هذه ويسير مسافة ثمانية كيلومترات تقريبا فى الاتجاه الشمالى ، ومن المؤكد أن هذا المجرى المائى هو نهر النيل . كما أوضح « جيسى » أن بحيرة ألبرت ليست بالمسافة المائية الشاسعة وانما هى تشغل مساحة تبلغ نحو ٥٤٠٠ ك.م٢ ولا يزيد طولها على ٢٢٥ ك.م وعرضها على ٨٠ ك.م تقريبا ويبلغ كذلك متوسط عمقها نحو ١٢ مترا وهى تأخذ شكلا مستطيلا وتخلو من الجزر ومياهها عذبة المذاق وان كانت فى السواحل تشوبها بعض الملوحة . ويكثر بجنوب البحيرة دائما حدوث الدوامات المائية كما يتعرض معظمها لهبوب العواصف الشديدة مما يتسبب - غالبا - فى اغراق بعض السفن والمراكب .

وهكذا أنهى «جيسى» رحلته الكشفية لبحيرة ألبرت نيانزا وعاد الى دوفيليه يوم ٢٣ أبريل سنة ١٨٧٦ فأخبر « غوردن » بنتائج اكتشافاته وأكد له أن بحيرة ألبرت تعد المنبع الثانى لنهر النيل ، وهى ليست تابعة لمجموعة أنهار الكنغو المائية مثلما كان يعتقد قبل ذلك .

ومن ناحية أخرى فبعد وصـول « جيسي » ببضعة أيام لحق به المستكشف الايطالى « بيادجيا » عائدا من رحلته الكشفية بنيل فيكتوريا وبحيرة ابراهيم . بعد أن أثبت بما لا يدع مجالا للشك اتصال نيل فيكتوريا ببحيرة ابراهيم بعد خـروجه من بحـيرة فيـكتوريا ثم اتصاله بعـد ذلك ببحيرة ألبرت رغم وجـود شـلالات كاروما وميرشيزون وغيرها مما تعوق حركة الملاحة به . وأضاف « بيادجيا » بعض الجوانب الكشفية عن بحيرة « ابراهيم » فأوضح بأن مسـاحتها لا تزيد على ٧٥٠٠ ك.م٢ وأن طولها يبلغ حوالى ٨٠ ك.م وأن هناك جبالا وهضابا مرتفعة تحدها من الجهات الشرقية والغربيـة بينما تحدها من الجهـات الشـمالية والجنوبية أراض مستوية السطح خصبة التربة .

٥ ـ بعثة ماسون Mason »

طلبت مصر من « غـوردن » عقب توليـه منصب الحاكم العام للسودان فى أواخر يناير سـنة ١٨٧٧ ، أن يستأنف ارسال البعثات الكشفية الى منطقة البحيرات الاستوائية ، تحقيقا لرغبة مصر فى اجـراء مزيد من الاستكشافات فى منطقة أعالى النيل الأبيض . وعـلى الفور أعد « غوردن » بعثة كشفية أسـند قيادتهـا الى الضابط الأمريكى ماسون . ثم لم يلبث أن تحركت هذه

البعثة في أوائل يونيو سنة ١٨٧٧ من دوفيليه حيث أبحر « ماسون » بالباخرة « نيانزا » ترافقه مجموعة صغيرة من الجنود المصريين فى طريقهم الى بحيرة البرت وعند وصولهم الى « ماجنجو » كان « ماسون » قد انجز رسم خريطه لنهر النيل ابتداء من دوفيليه حتى ماجنجو ثم شرع بعد ذلك في استكشاف بحيرة البرت فجاءت استكشافاته مطابقة لما سبق أن أوضحه « جيسى » عن البحيرة ، بيد أن ماسون كان قد أضاف بعض الجوانب الكشفية الأخرى عن البحيرة والقرى المجاورة لها ٠ فأوضح أن البحيرة تقع فيما بين خطى عرض ٩ ١°١ و ١٧ ٢° شمالا وخطى طول ٥ ٣٠° و ٣٠ ٣١ ش شرقا وان امتداد طول البحيرة يزيد عما ذكره « جيسى » بمسافة عشرة كيلومترات تقريبا بينما يقل عرضها بنحو ثلاثين كيلومترا عن العرض الذى حدده « جيسى » من قبل ٠ كما ان سطحها يرتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ٦٢٠ مترا تقريبا وأن عمق البحيرة فى أقصى الشمال والجنوب قليل جدا اذ يتراوح بين مترين وثلاثة أمتار ، ولذا يكثر وجود الأسماك الطافية على سطح مياه البحيرة فى أجزائها الشمالية والجنوبية وبالتالى تعد هذه المناطق من أهم مناطق صيد الأسماك المتنوعة فى أعالى النيل الأبيض ٠ كذلك أوضح « ماسون » أن هناك

نوعا من النبات يسمى « العنبج » يتكاثر وجوده فى الأجزاء الجنوبية للبحيرة وتنمو سيقانه الى نحو ثلاثة أمتـــار ٠

أما فيما يتعلق بالقرى المجاورة لضفاف البحيرة فقد لاحظ « ماسون » انها محاطة بالغابات الكثيفة بالأشجار الضخمة مما يمكن اعتبارها موردا مهما للاخشاب وهى تعد فى الوقت نفسه مأوى للعديد من الحيوانات المفترسة كما أشار « ماسون » الى أن هذه القرى تزدحم بالسكان خاصة فى قريتى « كبيرو » و « تيابونه » الواقعتين بالقرب من الضفاف الشرقية وقرى « نورسوأر » و « كفاليا » و « فاكوفيا » الواقعة على مقربة من الشواطىء الغربية للبحيرة ٠ وذكر أن سكان هذه القرى كانوا يحرصون على ارتداء الملابس سواء الجلدية أو المصنوعة من لحاء الأشجار وأوراقها وهم يعتنون كذلك بمظهرهم فيتزينون بعد الانتهاء من أعمالهم اليومية بوضع الأساور المعدنية حول أيديهم وأرجلهم بينما تتدلى الأقراط النحاسية من أنوفهم وآذانهم ٠ وقد علم أنهم دائما يشنون الحروب فيما بينهم من أجل الحصول على الماشية والاستيلاء على مناطق الكلأ ٠

وأوضح من جهة أخرى أن اهالى قرية « فاكوفيا » كانوا يهتمون بالصيد ويعتمدون عليه فى غذائهم الرئيسى • ومن أجل ذلك كانت لديهم عشرات القوارب الخشبية الصغيرة التى يستخدمونها فى عمليات الصيد • كما كانوا يحتفظون بكميات كبيرة من أدوات الصيد كالحراب والخطاطيف الحديدية لاصطياد أفراس البحر والتماسيح • وأضاف أن أراضى « فاكوفيا » كانت تنتشر بها الملاحات الطبيعية نتيجة لتحلل النباتات المائية التى تلقى بها الأمواج المستمرة على أراضى « فاكوفيا » القريبة من شواطئ بحيرة البرت • حيث كانت تنبت بقاع البحيرة نباتات مائية كثيرة تحتوى على مقدار كبير من عنصر البوتاسيوم ، وعندما تقذف بها الأمواج على الشواطئ القريبة تجف هذه النباتات وتتحلل وتصير ترابا مالحا ، يقوم الأهالى بجمعه وتنقيته مما يشوبه من مواد طينية • وعن طريق كميات الملح المتوافرة لديهم بهذا الشكل يمكنهم القيام بعمليات التبادل التجارى مع سكان القرى القريبة فيبادلونهم كميات من الملح مقابل الحصول على المحصولات الزراعية التى يفتقرون الى زراعتها لعدم صلاحية أراضيهم المالحة للزراعة • هذا وقد استطاع « ماسون » فى نهاية جولته الكشفية ببحيرة ألبرت أن يستكشف مصب النهر الذى

عرف فيما بعد باسم « سمليكي » والذى ينبع من بحيرة « ادوارد » الواقعة جنوب خط الاستواء ويسير فى اتجاه الشمال ليتصل ببحيرة ألبرت من طرفها الجنـوبي حيث يصب بها • وقد لاحظ ماسون أن مياه هذا النهر تميل الى الاحمرار وتنساب ببطء شـديد مخترقة الأعشـاب الكثيفة التى توجـد بجنـوب البحيرة • ولاحظ كذلك ارتفاع شواطىء هذا النهر وتكاثر نمو الأشجار الكثيفة عليها • كما لاحظ عدم صلاحيته للملاحة النهرية بسبب ما يعترض مجراه المائى من الجنادل والكتل النباتيـة فضلا عن ضحالة مياهه وبطء جريانهـا كذلك أشـار «ماسون» الى أن مياه هذا النهر تحمل كميات كبيرة من العشائش والمواد الجافة وقطع الأخشاب تطفو على سطح مياه النهر حيث يلقى بها فى مياه بحيرة البرت • وذكر أن عرض هذا النهر يبلغ حوالى ٤٠٠ متر وانه قليـل العمق بحيث لا يزيد عمقه على ثلاثة أمتار تقريبـا • ويبدو أن عدم صلاحية هذا النهر للملاحة هو الذى حال دون أن يتتبع « ماسون » مجراه المائى الى منبعه حتى يزيد من اكتشافاته به • وقد عاد «ماسون» الى المديرية الاستوائية فى ١٩ يونيو ١٨٧٧ بعد أن أدى مهمتـه الكشفية بنجاح • وكانت بعثته هذه تتمة للجهود التى بذلتها مصر فى سبيل استكشاف منطقـة أعالى النيـل الأبيض فى عهد الخديو اسماعيل •

الكشوف المصرية فى غرب السودان

في اطار جهود مصر الكشفية الرامية الى خدمة الأغراض العلمية والجغرافية في مناطق أفريقيا المختلفة بادرت مصر بارسال عدة بعثات كشفية الى المنطقة الواقعة فى غرب السودان خاصة بعد أن تم لمصر فتح اقليم دارفور فى نوفمبر سنة ١٨٧٤ . فقد كلف الخديو اسماعيل « ستون باشا » رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى باعداد بعثتين كشفيتين ترسل احداهما الى كردفان والأخرى الى دارفور على أن تحدد لكل منها المهام الكشفية التى ستكلف بها . وعلى الفور أعد « ستون » البعثتين فاختار للبعثة الأولى المتجهة الى كردفان ضباطاً من هيئة أركان حرب الجيش المصرى هم : الصاغقول آغاسى (رائد) أحمد حمدى «والملازمون الأوائل « يوسف حلمى » و « عمر رشدى » وخليل فوزى و « محمد ماهر » والحق معهم الطبيب المصرى « محمد

فريد » والدكتور « بفوند Pfund » المتخصص في دراسة علم النباتات والتاريخ الطبيعي ــ والضابط الأمريكي قائمقام (عقيد) « ريد Reed » فضلا عن اختياره اثني عشر من صف ضباط هيئة الأركان وما يقرب من تسعين جنديا مصريا • وقد أسند رئاسة هذه البعثة الى الضابط الأمريكي أميرالاى (عميد) « كولستون Colston » *

أما البعثة الثانية المتجهة الى دارفور فقد اختار لها « ستون » الضباط : يوزباشي (نقيب) محمود صبرى والملازمين الأولين محمد سامي وسعيد نصر والملازمين الثانيين « أحمد رمزى » و « خليل حلمى » يرافقهم الطبيب محمد أمين والضابط الأمريكي قائمقام ماسون بالاضافة الى اثنى عشر من صف ضباط هيئة الأركان ونحو ثلاثة وستين جنديا وقد عهد ستون كذلك الى الضابط الأمريكي أميرالاى « بوردى Purdy » برئاسة هذه البعثة •

وكان على البعثة الأولى المتجهة الى كردفان استكشاف المنطقة الممتدة من الدبة الى الأبيض ثم من الأبيض الى دارفور، وبالتالى يمكنها استكشاف أقصر الطرق الواصلة بين النيل ودارفور • أما البعثة الثانية المتجهة الى

دارفور فكان عليها أيضا استكشاف المنطقة الشمالية الغربية لدارفور وكذلك المنطقـة الممتدة من دارة الى « حفرة النحاسى » .

على كل غادرت البعثتان معا القاهرة بطريق النيل فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ وما ان وصلتا الى وادى حلفا حتى شرعت كل منهما فى اتخاذ طريقها نحو الجنـوب لتحقيق مهمتها الكشفية . ويكـون مفيـدا لو تتبعنـا الجهود الكشفية المصرية فى كل من كردفان ودارفور .

أولا : الكشوف المصرية فى كردفان

فضل « كولستون » قائد البعثة الكشـفية المصرية المتجهة الى « كردفان » بعد وصوله الى وادى حلفـا أن يتبع الطريق البرية فى وصوله الى بلدة « الدبة » بدلا من اتباع طريق النيل حيث رأى أن طريق النيل سيؤخر من وصوله الى الدبة . كما انه فضل أن تسير البعثـة بجوار الشاطىء الأيسر للنيل ، لكيلا تضطر اذا ما سارت بجوار الشاطىء الأيمن الى عبور نهر النيل عند النقطة المقابلة لبلدة « الدبة » والتى تقع عند انحناء مجرى النيل فى الاتجاه الشمالى . وبالفعـل سـارت البعثـة بجوار الشاطىء الأيسر حتى وصلت الى بلدة « الدبة » فى ٥ مارس سنة ١٨٧٥ . ويذكر « كولستون » انه لم

يشاهد طوال الطريق شيئا يلفت النظر سوى وجود نبع للمياه المعدنية فى بلدة « أوقما » التى تقع جنوب وادى حلفا بمسافة ٧٦ ميلا تقريبا يقبل عليه أهالى هذه البلدة والبلدان المجاورة لها للاستشفاء من امراضهم حيث يغتسلون ويشربون من مياهه على الرغم من أن درجة حرارة هذه المياه تصل الى ٥٠ درجة مئوية وغير مستساغة الطعم وتفوح منها رائحة كبريتية خفيفة ٠
والواقع أن النشاط الكشفى لهذه البعثة لم يبدأ الا فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٥ أى عندما رحلت عن « الدبة » فى طريقها الى الأبيض عاصمة كردفان ٠ على انه يجدر بنا القول ان هذا النشاط الكشفى انما وقع بأكمله على كاهل الضباط المصريين خاصة الصاغقول اغاسى « أحمد حمدى » اذ أن مرضا شديدا كان قد ألم بقائد البعثة الأميرالاى « كولستون » مما جعله يواصل الرحلة محمولا على محفة فوق أكتاف حرسه الخاص ، الأمر الذى أدى به الى أن يسند قيادة الحملة الفعلية الى الضابط المصرى « أحمد حمدى » بعد أن تولاها لفترة قصيرة القائمقام « ريد » الذى لم يلبث أن مرض هو الآخر وعاد الى القاهرة ٠ ويبدو أن مرض « كولستون » كان من الأسباب التى حدت بهيئة أركان حرب الجيش المصرى لأن ترسل بعثة أخرى عن طريق البحر الأحمر الى سواكن لتصل منها الى بربر فالخرطوم فالأبيض وتكون عندئذ

على مقربة من بعثة « كولستون » التى ربما تحتاج الى معونتها • ومما يذكر ان هذه البعثة كانت قد أسندت قيادتها الى الضابط الأمريكى البكباشى (مقدم) « بروت Prout » الذى كلف أيضا باستكشاف المنطقة الممتدة من الخرطوم الى الأبيض كما سيأتى تفصيله فيما بعد •

على اية حال تمكن « أحمد حمدى » وزملاؤه من ضباط هيئة الأركان : محمد ماهر وخليل فوزى وعمر رشدى ويوسف حلمى من استكشاف طريق جديدة تربط بين الدبة والأبيض غير الطريق التى اعتاد عليها الأهالى فى أسفارهم والذى كان يبدأ من الدبة الى بلدة « أبوجرات » الى بلدة « العامرى » ومنها الى بلدة « الصافى » فبلدة « باره » ثم الأبيض •

وكان أفراد البعثة قد علموا خلال اقامتهم «بالدبة» صعوبة السير بهذه الطريق نظرا لقلة آبارها المائية • ومن ثم كان من الطبيعى على أفراد البعثة أن يجتازوا طريقا آخرى تفى بحاجاتهم من المياه وبالفعل ساروا بعد رحيلهم من الدبة فى طريق سمعوا عنها من الأهالى كانت تقع الى الشرق من الطريق الأولى وتصل من الدبة الى بلدة « برق عجيل » ومنها الى بلدة « البريجة » ثم

الى بلدة « أبو هشيم » فبلدة « الحسناوى » وتستمر في امتدادها حتى بلدة « عيلاى » فبلدة « الهاويجى » ثم تصل الى بلدة « الصافى » التى تلتقى عندها بالطريق الأصلية وتصبحان طريقا واحدا تصل الى بلدة «كجمر» ومنها الى « بارة » ثم تنتهي الى الأبيض ٠

وعلى الرغم من طول المسافة فى هذه الطريق ووعورتها فانها تتميز من ناحية بتربتها الرخوة غير الصخرية التى يمكن بقليل من الجهد تعبيدها واصلاحها للمرور ، كما انها تتميز من ناحية أخرى بوجود آبار مائية كثيرة تمتد بامتدادها وتتواجد فى البلدان المذكورة آنفا وعلى ابعاد متقاربة بحيث لا تكون هناك صعوبة أمام القوافل المسافرة فى الحصول على المياه ٠ ويذكر أفراد البعثة أن المياه الموجودة بهذه الآبار تتميز بعذوبة مياهها وغزارتها وأن عمق هذه الآبار يتراوح فيما بين أربعة أمتار وخمسة وعشرين مترا ٠ وتمكن رجال البعثة من استكشاف مجموعة أخرى من الآبار كانت تقع فى عدد من الوديان المختلفة مثل وادى « أبو سدير » و « أبواندراب » و « المسكمة » غير انهم لاحظوا كثرة الآبار فى وادى « عيلاى » اذ كان يوجد به نحو ثلاثة وعشرين بئرا تتوزع أماكنها باتساع مساحة الوادى التى تصل الى ميلين تقريبا

فتوجد بالجهات الشرقية منه ثلاث عشرة بئرا أشهرها آبار « الجير الشرقية » و « العويقط » و « العزة » بينما توجد بوسط الوادى ست آبار وفى الجهات الغربية منه توجد أربع آبار أخرى ٠

وقد لوحظ أن أعماق هذه الآبار كانت لا تزيد على أربعة أمتار ومياهها قليلة باستثناء آبار الوسط التي تتميز بغزارتها كما تتميز جميع آبار الوادى بعذوبة وصفاء مياهها ٠ وليس من شك فى أن السكان القاطنين بجوار وادى « عبلاى » من قبائل « الهوادير » و « الكبابيش » التابعين لكردفان كانوا يعتمدون على مياه آبار هذا الوادى في حياتهم اليومية شأنهم فى ذلك شأن بقية السكان في هذه المناطق حيث كانت الآبار تعد بالنسبة لهم المورد الأساسى للحصول على المياه ٠ هذا فضلا عن وجود عدة أخوار مائية وبحيرتين كبيرتين الى حد ما كانت تنساب مياهها فى الصحراء المجاورة غير أن مياه هذه الأخوار وكذلك مياه البحيرتين لم تكن صالحه للشرب بسبب ما يتعلق بها من شوائب وروث الحيوانات ومن هنا ظهرت أهمية مياه الآبار النقية الصالحة للشرب ٠ أما مياه الأخوار والبحيرتين فتستخدم فى رى المزروعات وسقاية الحيوانات المختلفة ٠

هذا وقد حرص افراد البعثة المصرية على استكشاف عدد كبير من هذه الأخوار المائية منها خور « الطريفة » و « أبو سدير » و « البويجة » و « ابو هشيم » و « شاهين » و «الحسناوى» و «المزروب» و «الهاويجى» و « أبو عروق » فقد اتضح لهم ان معظم هذه الأخوار تتكون مياهها من سقوط الأمطار حتى اذا انتهى موسم سقوط الأمطار نضبت المياه منها • كما لوحظ أن بعضها ينبع من الجبال القريبة منها كجبال « الطريفة » و « الصنقور » و « الجلود » و « الأبرق » و « الويرى » الكبير وجبال « أمان رحمة » •

أما المجرى المائى لهذه الأخوار فكان يتراوح بين ثمانية أمتار وعشرين مترا • بينما كانت أعماقها لا تزيد على ثلاثة أمتار وغالبا كانت تتراكم فى قاعاتها رمال تميل في لونها الى اللون الأحمر • وقد ثبت لدى أفراد البعثة أن كثيرا من هذه الأخوار تصب مياهها فى الصحراء المجاورة بينما تصب بعضها كأخوار « وادى الزراق » و « المزروب » و « الهاويجى » و «أبو عروق» فى بحيرة الصافى •

ومن ثم قام أفراد البعثة باجراء بعض الاستكشافات عن هذه البحيرة فلاحظوا أن مياهها لا تتكون من مياه

الأخوار المنصبة فحسب ، وانما كان انخفاض أراضيها سببا في أن تنحدر اليها كذلك مياه الامطار المنصبة في الوديان المجاورة لها كوادى « الشيلوب » « والجليني » « والاربل » وبالتالى فقد كانت المياه بهذه البحيرة غزيرة جدا مما جعلها موردا مائيا لما يزيد على عشرة آلاف دابة تفد اليها يوميا وبدون انقطاع للشرب · هـذا وقد لوحظ أن عمق البحيرة لا يزيد على ثلاثة أمتار وتحف بشواطئها الحشائش الطويلة بينما تنمو بالقرب منهـا الأشجار الكثيفة المختلفة التى يستغل الأهالى هنـاك أخشابها فى الوقود وفى بنـاء أكواخهـم · كذلك أكد أفراد البعثة المصرية أن هناك بحيرة أخـرى تبعد عن بحيرة « الصافى » بمسافة ٧٥ ميلا تقريبا وتقترب في موقعها من بلدة « كجمر » أطلق عليها الأهالى اسـم « مصاريق » وهى أقل حجما من بحيرة الصافى كما أن عمقها لا يزيد على مترين وتتكون مياهها ــ أيضا ــ من الأمطار التى تتجمع فى الوديان القريبة منها وتنحـدر الى البحيرة لتصب بها وتتميز هذه البحيرة بوجود ثمانى آبار بها يقوم الأهالى باستخراج المياه منها بعد الانتهاء من موسم سقوط الأمطار وبالتالى بعد أن تجف الميـاه بالبحيرة · وعلى الرغم من قلة المياه المستخرجة من هذه الآبار فانها شديدة العذوبة ·

وأضاف أفراد البعثة المصرية في التقرير الذى أعدوه عن رحلتهم الكشفية هذه • أن الاراضى الواقعة بين الدبة والأبيض كانت تعد مراعى طبيعية يكثر بها الحشائش والأعشاب الطويلة والقصيرة ومن ثم كان الاشتغال بالرعى من الحرف الأساسية لدى معظم سكان المنطقة من قبائل « الدناقلة » و «الهواديه» و «البقارة» و « الكبابيش » وان كانت تربية الأبقار والكباش (الضأن) عند أفراد القبيلتين الأخيرتين تأخذ اهتماما خاصا حتى عرفت قبيلتهما باسم « البقارة » « والكبابيش » •

كذلك ورد بالتقرير أن الأراضى القريبة من الأخوار المائية والمجاورة لبحيرتى «الصافى» «ومصارين» كانت تتميز بالخصوبة حيث تغطى سطحها طبقة طينية سميكة تكثر بها التشققات مما يجعلها صالحة للزراعة • وقد لوحظ اقبال الأهالى على زراعة الدخن ونخيل البلح وأشجار الدوم والليمون والعنب والرمان والتين الشوكى ،فضلا عن زراعة البامية والبصل والحلبة والقليل من القطن ، كما لوحظ أن الساقية والشادوف يستعملان عادة هناك فى رى المزروعات • والى جانب الزراعة كان الأهالى يصنعون الحبال من لحاء الأشجار وقرب المياه من جلود الأغنام والحراب والسهام والدروع

والسيوف من الحديد فضلا عن صناعة ادوات الزينة كالأسلاك والأقراط والحلقات الدائرية من النحاس والحديد • وغالبا ما كان يذهب الأهالي بمصنوعاتهم هذه الى السوق الرئيسية التي كانت تعقد يوميا ببلدة الأبيض حيث يقومون هناك بعرض منتجاتهم واستبدالها بسلع أخرى كالأقمشة بمختلف أنواعها القطنية والصوفية والحريرية والجلدية وكذلك أنواع الحبوب وبعض الخضراوات وغيرها •

كما أضحت البعثة أن غالبية الأهالي هناك كانوا يقطنون في أكواخ دائرية الشكل تسمى « توكولات » تبتنى من القش وفروع الأشجار بينما لجأ البعض منهم الى بناء المنازل للاقامة بها وذلك باستعمال الطوب والحجارة والطين على انه كان يراعى عند بناء المنازل أن تكون متعددة الحجرات ذات أسقف عالية تحتوى على بناء واسع لتربية الماشية ، فضلا عن ضرورة احاطتها بحدائق تزرع فيها عادة أشجار الليمون والعنب والرمان والتين الشوكي • وقد تميزت بلدة « بارة » عن بقية البلدان الأخرى بتعدد منازلها وكثرة حدائقها مما كان يشجع الكثير من التجار الأوربيين على الاقامة بها خاصة انها كانت على مقربة من الأبيض حيث مقر السوق الرئيسية لمنطقة كردفان •

هذا وقد تقابلت البعثة المصرية في « بارة » بالبعثة المصرية الأخرى التي كان يقـودها الضابط الأمريكي « بروت » المكلف من قبل مصر بمساعدة بعثة كولستون وباستكشاف المنطقة الممتدة من الخرطوم الى الأبيض • ولما كان المرض قد اشتد على كولستون وأصبح لا يقدر معه على قيادة البعثة المصرية الى الأبيض فقد تنازل عن القيادة الى زميله « بروت » الذى تولى قيادة البعثتين منذ رحيلهما معا من بارة في ١٠ يونيـو سنة ١٨٧٥ حتى وصولهما الى الأبيض بعد يومين أى فى ١٢ يونيو • ولكن قبل أن نتتبع النشـاط الكشـفى للبعثتين بعـد مغادرتهما « بارة » يجدر بنا أن نتعرف على النتـائج الكشفية التى توصلت اليها بعثة « بروت » منذ رحيلها من الخرطوم فى طريقها الى الأبيض •

ففى أوائل مايو سنة ١٨٧٥ وصـل الى الخرطوم الضابط الأمريكى « بروت » على رأس بعثـة كشـفية مصرية ثم لم يلبث أن بدأ مهمته الكشفية من أم درمان فى ٢٠ مايو حيث سلك وأفراد بعثته طريقا برية فى الاتجاه الجنوبى بجوار الساحل الغربى لنهـر النيـل اذ فضلوا أن يقطعوا أكبر مسافة ممـكنة من الطـريق بالسير قرب النيل حتى يضمنوا الحصـول عـلى الميـاه اللازمة لهم ، ثم يتجهوا جهة الجنوب الغربي فى طريقهم

الى الأبيض ٠ وقد تمكنت هـذه البعثة من استكشـاف المناطق الممتدة من أم درمان حتي بلدة « هورس » التي تبعد عن الأبيض بنحو ٦٠ ك٠م فقـد ورد في تقـرير « بروت » أنه تتراكم بهـذه المناطق كميـات كبيرة من الاتربة والأحجار وقطع الأشجار الصغيرة في أماكن كثيرة من الأراضى هناك ٠ كما توجد عدة آبار مائية منها آبار أبو جراد « والحلبة » « والدنابيج » « وأبو شـوكة » « وحلوان » « وفاروجاد » وقد لوحظ أن أعماق هـذه الآبار تتراوح بين ٣٠ر٥٠ مترا كما أن المياه المستخرجة منها وان كانت عـذبة الا انهـا قليلة ولا تكفى حاجات الأهالى هناك ٠ ولم يشاهد أفراد البعثـة سـوى بحيرة صغيرة تعـرف باسـم « الطـيرة الخضراء » تبعـد عن الخرطوم بمسافة قريبة فى الاتجاه الغربى لنهر النيـل

وقد تميزت هذه البحيرة على الرغم من قلة عمقهـا بغزارة المياه بها طوال أيام السنة غير أن هذه كانت غير صالحة للشرب وذلك لعدم نظافتها ولاحتوائها على كثير من الطفيليات التى تسبب الاصابة بالأمراض المختلفة ٠ هذا وكانت هناك بحيرة أخرى تبعد عن بحيرة « الطيرة الخضراء » بنحو ستة كيلومترات ذكر تقـرير البعثـة المصرية أن طولها كان يبلغ حوالى ٢ ك٠م وعرضها نحو

كيلومتر وهى تشبه بحيرة الطيرة الخضراء فى قلة عمقها ووفرة المياه بها على مدار السنة وفى عدم صلاحية مياهها للشرب ولكنها تتميز عنها بوجود عدة جزر صغيرة فى وسطها وكذلك باحاطتها بالاشجار الضخمة • ويرجح « بروث » ان تكون هذه البحيرة قد تكونت أساسا من تسرب مياه النيل الى مكانها فى وقت الفيضان ونظرا لتلوث مياه البحيرتين وعدم نظافتهما فقد حرص الأهالى على عدم سقاية دوابهم منها • ومن ثم فكانت ترى هذه الدواب بصفة دائمة حول الآبار المائية المتعددة • أما مياه البحيرتين فكان يعتمد عليها فى رى المزروعات خاصة ان مقدار مياه الأمطار السنوية التى تتساقط على هذه المناطق كان قليلا •

وجاء بتقرير البعثة كذلك أن هناك مساحات واسعة من الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة تقدر بحوالى ٨٠٠ ك•م٢ يمتد أغلبها بجوار نهر النيل حيث ترسب بها سنويا وفى موسم الفيضان ، كميات كبيرة من طمى النيل ، ولكن على الرغم من ذلك فان المساحة المنزرعة من هذه الأراضى لا تتعدى بضعة كيلو مترات مربعة ، وبالتالى فان المحصولات الزراعية المنتجة منها قليلة جدا ولا تكفى حاجة الأهالى هناك • وربما يعود ذلك الى عدم اهتمام معظم الأهالى بالزراعة وانصرافهم

الى الرعي وتربية الماشية على الرغم من قلة المراعى الطبيعية فى هذه المناطق وعدم وفرة المياه بها ٠

وذكر « بروت » كذلك أن أهم ما يميز هذه المناطق هو كثرة ما يوجد بها من الغابات الكثيفة بالأشجار المختلفة وان كان أغلبها أشجار « الميموزاس » الخالية من الأوراق وأشجار السنط الغنية بمادة الصمغ ٠ كما أوضح أن هناك مساحات كبيرة من الأراضى تتميز بلونها الأسود يكمن بباطنها معدن الحديد الخام الذى يتواجد على هيئة قطع غير منتظمة الشكل وعلى أعماق بسيطة من سطح الأرض تتراوح فيما بين مترين وثلاثة أمتار مما يسهل استخراجه لتصنيعه ٠ هذا وقد شوهدت مناجم عديدة للحديد الخام بالقرب من بلدة « هورس » على بعد ٤٠ ك٠م تقريبا فى الاتجاه الشرقى منها ٠

والجدير بالذكر انه حين وصول بروت وأفراد بعثته الى بلدة « هورس » فى أول يونيو سنة ١٨٧٥ كان قد تلقى خطابا من « كولستون » يطلعه فيه على حالته الصحية وعلى عدم مقدرته على تولى قيادة البعثة الى الأبيض وطلب منه اللحاق به فى بلدة « بارة » ليتولى أمر القيادة ٠ وبالفعل وصل بروت ومعه أفراد بعثته الى « بارة » فى يونيو حيث تقابل مع كولستون وأفراد

بعثته ثم لم يلبث أن غادر الجميع بارة كما سبق ان أوضحنا في ١٠ يونيو سنة ١٨٧٥ تحت قيادة بروت في طريقهم الى الأبيض ·

ولقد أشار أفراد البعثة الى أن الطريق بعد بارة تتفرع الى فرعين يصل كل منهما الى الابيض فكان يتجه احداهما الى الغرب ويسمي « بدرب المدفع » بينما كان يتجه الفرع الآخر الى الجنوب الغربي ويعرف باسم « غرب عينون » وقد سار أفراد البعثة المصرية في هذي الطريق حيث كانت تتميز عن الطريق الأولى بسهولة مواصلاتها وبكثرة آبارها المائية التى اشتهر منها آبار « فينوني » و « أم سوط » « وآم حلجة » « وأم جامع » وقد لوحظ أن عمق هذه الآبار يتراوح فيما بين ٢٢ مترا و ٢٥ مترا وان مياهها غزيرة وعذبة · وأضاف أفراد البعثة انهم شاهدوا مزارع الذرة في مساحات كبيرة تمتد على جانبى الطريق مما يؤكد صلاحية الأراضى هناك للزراعة ، فضلا عن وجود المراعى الطبيعية في بعض المناطق التى يكثر بها نمو الحشائش الطويلة والقصيرة وكذلك العديد من الأشجار الضخمة المجوفة من الداخل والتى تعرف هناك باسم «الحمراء» · على أية حال بعد مسيرة يومين من « بارة » وصل أفراد البعثة المصرية الى الأبيض في ١٢ يونيو سنة ١٨٧٥

وهناك قاموا باستكشاف سريع لها فثبت لديهم انها تقع في وسط سهل منبسط تتميز أراضيه بالخصوبة الشديدة وتحيط به المرتفعات وان كانت تبرز بشكل واضح في الشمال الغربي حيث جبال « أبو حراز » « وكاجا » « وكاتول » وفي الجنوب جبل « كردفان » .

ولاحظوا بها بعض المنشآت التي قامت الادارة المصرية ببنائها منذ أيام محمد على كالمستشفى والجامع ومبنى المديرية . كما لاحظوا ازدحامها بالسكان الذين كانوا في معظمهم من قبائل « البقارة » « والكبابيش » فضلا عن ذلك فقد لاحظ أفراد البعثة المصرية انه كان يتوافد عليها طوال أوقات النهار جموع كبيرة من سكان القرى المجاورة وكذلك التجار من بلاد العرب والشام وبعض التجار الأوربيين حيث كان يعقد بوسط البلدة يوميا وعلى مساحة واسعة من أراضيها سوق كبيرة تبدأ بمطلع النهار وتنتهى بانتهائه وكانت تعرض فيها عادة المنتجات المحلية من العاج والمصنوعات الجلدية والأوانى الفخارية ومعدات الحرب كالرماح والسهام والسيوف والدروع وأدوات الزينة كالخرز والأسلاك الملونة والأطواق الحديدية والنحاسية بالاضافة الى عرض مختلف أنواع الأسماك واللحوم والخضراوات والفواكه والعديد من قطعان الأبقار والجاموس والأغنام والماعز

والجمال والخيول • كذلك كانت تعرض فيها المنتجات التي يأتي بها التجار الأجانب كالخمور والسجائر والأسلحة النارية والذخائر والأقمشة القطنية والحريرية والصوفية وجوز الهند ومختلف أنواع التوابل • وكانت عمليات البيع والشراء تتم باتباع نظام المقايضة أو المبادلة التجارية •

هذا وقد تمكن ثلاثة من الضباط المصريين هم - عمر رشدى وخليل فوزى ويوسف حلمي من رسم خريطة لبلدة الأبيض ، تحت اشراف بروت ، أوضحوا فيها الشوارع الرئيسية ومبنى المديرية وموقع الجامع والمستشفى ومعسكر الجنود المصريين ومنازل الأهالى وأماكن مقابرهم • كما قام « بروت » بمساعدة «أحمد حمدى » برسم خريطة أخرى لمديرية كردفان واستكمل كذلك بمساعدة الضابط « محمد ماهر » رسم الخريطة التى حدد فيها خط سير بعثته من الخرطوم الى الأبيض ؛ فضلا عن ذلك فقد أنهى « أحمد حمدى » رسم الخريطة التى حدد فيها هو الآخر خط سير البعثة المصرية التى كان يتولى قيادتها كولستون من الدبة الى الأبيض • كما قام الدكتور « بفوند » بجمع بعض النباتات والأعشاب الموجودة بكثرة فى جبال « أبو حراز » « وكاجا » « وكاتول » لتحليلها حيث لاحظ غرابتها وندرتها كما

قام بتحليل بعض طبقات هذه الجبال جيولوجيا وبتعيين عدة مواقع فلكية بهذه المناطق ٠

كذلك قام بروت باستكشاف بعض المناطق الواقعة في غرب وشمال غرب الأبيض فثبت لديه ارتفاع معظم المناطق هناك بنحو ٧٥٠ قدما عن سطح الأرض بينما كان أقل ارتفاع لها يصل الى نحو ١٥٠ قدما والأراضي هناك رملية ويندر وجود المياه بها وبالتالي فان الحشائش المتوافرة هناك تعتمد على مياه الأمطار ويرجح بروت وجود معدن الحديد الخام بباطن هذه الأراضي الرملية ٠

والجدير بالذكر انه بعد وصول البعثة المصرية الى الأبيض في يونيو سنة ١٨٧٥ لم تغادرها الا في ابريل سنة ١٨٧٦ بعد أن شفي « بروت » ومعظم أفراد البعثة من « الحمى » التي كانوا قد أصيبوا بها ولازمتهم فترة ليست قصيرة ٠ وقد اعتزم « بروت » أن يواصل رحلته الكشفية ماضيا في طريقه الى الناشر عاصمة دارفور٠ وبالفعل مضت البعثة في طريقها الى الناشر حيث وصلتها في ٢٤ أبريل سنة ١٨٧٦ وقد ذكر بروت أن الطريق الواصلة من الأبيض والناشر يصعب المرور فيها بسبب تراكم كميات كبيرة من الأحجار الصخرية في أماكن كثيرة منها فضلا عن عدم توافر مياه الآبار أو

البحيرات بها • وأوضح بأن هناك مراعى طبيعية تمتد في مساحات واسعة على جانبى الطريق تقيم عندها جموع كبيرة من العربان ينتمون الى قبائل « حمر العساكرة » « وحمر الدقاقيم » والهبانية والزبادية وبنى جرار، وقد اشتهرت هذه القبائل بعنايتها الفائقة بتربية الأبقار والأغنام والماعز وكذلك اهتمامها بالابل والخيول والحمير • وكان « بروت » قد أنجز رسم خريطة توضح خط سيره من الأبيض الى الناشر وقد ساعده في رسمها الضابطان : محمد ماهر وخليل فوزى وبذلك يكون بروت قد رسم المناطق الممتدة من نهر النيل حتى الناشر حيث سبق له أن رسم خريطة من الخرطوم الى الأبيض •

ثانيا : الكشوف المصرية في دارفور

كلف « بوردى » باستكشاف المنطقة الشمالية الغربية لدارفور وكذا المنطقة الممتدة من دارة الى حفرة النحاس وجاء هذا التكليف من قبل الحكومة المصرية حيث أرادت استكمال عمليات المسح الكشفى لمنطقة دارفور بعد أن سبق لها ارسال بعثة كشفية أخرى الى دارفور كانت مهمتها استكشاف بلدة الناشر • ويكون مفيدا اذا أشرنا الى هذه البعثة الكشفية قبل أن نتعرف

على النتائج الكشفية التي توصل اليها « بوردى » في منطقة دارفور .

ففي سنة ١٨٧٦ امر الخديو بارسال بعثة كشفية الى الناشر عاصمة دارفور وقد تحركت هذه البعثة برئاسة القائمقام « محمد نادى » معاون حكمدارية السودان في ٢٥ مارس سنة ١٨٦٧ من بلدة «أبو حراز» التابعة لمديرية كردفان حيث وصلت الى الناشر في ١٤ أبريل سنة ١٨٦٧ ومكثت بها عشرين يوما اذ غادرتها في ٤ مايو عائدة الى مقر الحكمدارية في الخرطوم وهناك رفع « محمد نادى » تقريرا كاملا عن مهمته الى الخديو في ٢٣ يونيو سنة ١٨٦٧ أوضح فيه أن المنطقة الممتدة من « أبو حراز » الى الناشر تتميز بوجود عدة قرى صغيرة بها تبعد عن بعضها بمسافات قريبة وكانت بعض هذه القرى خالية من الآبار المائية مثل قرى : « لبانة » « والدودية » « والخوى » « وشالوتة » « والعتمور » « وأم دباكر » « وجبلة » « وحمر النيران » « وأم داؤد » « وحلة الأسرة » وازاء هذا كان أهالى هذه القرى يلجأون في وقت الخريف الى أشجار «العنقلوز» الضخمة المشهورة لديهم باسم « التبلدى » ليحفروا وسطها ولتصبح معدة لتخزين مياه الأمطار بها ، وذلك

حتى يمكن استعمالها فيما بعد لمتطلبات الحياة اليومية . بينما كانت مياه الأمطا تروى مزروعاتهم كذلك .

كما أشار « محمد نادى » الى أن هناك قرى اخرى عديدة تكثر بها آبار المياه منها قرى : « الحويصى » و « الطويشة » و «أم شنقة» و « جبل حله» و «فوجى» و «الطليح» و «بروش» و «أم عويشات» و «أم زويبة» « وحلة عبد الفتاح » « وحلة أرقد » . وكانت هذه الآبار تتميز بغزارة وعذوبة مياهها باستثناء بعض الآبار بقرية «أم شنقة» والتى بها نحو ستين بئرا فكانت المياه بها مالحة وتشوبها مرارة معينة .

وقد ورد بالتقرير كذلك انه يوجد بهذه المناطق أشجار مختلفة كأشجار « السنط » « وهشاب » « وكتر » « وسدر » « وعرويب » فضلا عن اشجار العنقلوز ، كما توجد بها مراع طبيعية كثيرة ومن ثم فقد شوهدت هناك أعداد كبيرة من الأبقار والجاموس والأغنام والماعز وكذلك من الابل والخيول وهى ترعى الكلأ .

أما بلدة الناشر فقد ورد عنها فى تقرير « محمد نادى » انها تقع على تلال متوسطة الارتفاع يتميز مناخها بالاعتدال مما كان مشجعا لبعض الأوربيين على الاقامة بها . كما أن معظم أراضيها رملية وان كانت

الأراضي الطينية تشغل حيزا صغيرا بها • وتتميز هذه الأراضي الطينية والرملية بصلاحيتها للزراعة • بيد أن المساحات المستغلة للزراعة من هذه الأراضي كانت قليلة وقد تركت بقية الأراضي الاخرى دون استغلال وذلك بسبب تراكم الأشجار بها وعدم اقبال الأهالى على قطعها والاستفادة من مكانها في زراعة المحصولات المختلفة • هذا وقد شوهدت في الأراضي القليلة المنزرعة محاصيل الذرة والبطيخ والبصل والثوم والشطة والكزبرة والشمر والحلبة والدخان • أما الرعي وتربية الماشية فكانت الحرفة الرئيسية لدى معظم السكان هناك ومن ثم كان يتوافر بهذه المناطق أنواع الماشية المختلفة فضلا عن الابل والخيول •

ومن ناحية أخرى فقد أشار « محمد نادى » في تقريره الى الصناعات المحلية التى كانت تشتهر بهـا بلدة الناشر كصناعة أدوات الزينة من الأطواق الحديدية والنحاسية والخرز والأسلاك الملونة وأيضا صناعة « المرية » من الذرة وصناعة النشوق ودبغ الجلود والملابس الجلدية والأواني الفخارية والسيوف والرماح والسكاكين • وعادة كانت هذه الصناعات تعرض في الأسواق التجارية التى كانت تقام أسبوعيا في الناشر يفد اليها تجار من بلاد العرب والشام وزنجبار وبعض

التجار الأوربيين حيث يقومون باستبدال سلعهم من الأقمشة والاسلحة النارية والذخائر والتوابل والخمور . وغيرها ببعض السلع والمنتجات المحلية . هذا وقد لوحظ انتشار تجارة الرقيق في هذه الأسواق واقبال التجار عليها مما كان يكسب أسواق الفاشر شهرة كبيرة فى أفريقيا .

وهكذا كانت نتائج البعثة الكشفية التى أرسلتها مصر الى الفاشر عاصمة دارفور سنة ١٨٦٧ برئاسة القائمقام « محمد نادى » . أما البعثة الكشفية التى أرسلتها سنة ١٨٧٤ برئاسة الضابط الأمريكى «بوردى» فقد حددت لها استكشاف المنطقة الشمالية الغربية لدارفور وكذلك المنطقة الممتدة من دارة الى حفرة النحاس . وقد سبق أن ذكرنا أن « بوردى » غادر القاهرة مع أفراد بعثته فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ تصاحبه بعثة «كولستون» المكلفة بأداء مهام كشفية فى منطقة كردفان ، وذكرنا ان البعثتين وصلتا معا حتى وادى حلفا ومن هناك شرعت كل منهما فى اتخاذ طريقها نحو الجنوب لتحقيق مهمتها الكشفية ، وقد تتبعنا آنفا النتائج الكشفية التى توصلت اليها بعثة « كولستون » فى اقليم كردفان . ويجدر بنا الآن تتبع النتائج الكشفية التى توصلت اليها بعثة « بوردى » فى منطقة دارفور .

ففي أواخر ديسمبر سنة ١٨٧٤ تحركت بعثة « يوردي » من وادى حلفا حتى وصلت الى بلدة « دنقلة العجوز » الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيل ومنها واصل « يوردى » طريقه حتى بلدة الفاشر • وهناك أعد تقريرا رفعه الى ستون باشا ــ رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ــ فى ١٢ مايو سنة ١٨٧٥ أوضح فيه أن بعثته لم تجد صعوبة خلال سيرها فى الطريق الممتدة بين دنقلة والناشر حيث كان سطحها مستويا لا تعترضه ارتفاعات أو انخفاضات أرضية •

وقد تميزت الطريق بوجود الأشجار الضخمة الوارفة الظلال في عدة أماكن بها ، فضلاً عن توافر المياه الصالحة للشرب بالجهات المجاورة لها اذ كانت توجد آبار مائية عديدة في وادى « فهل » وفى القرى الممتدة بطول الطريق كقرى « الحمارية » «وعين حامد» « وأم بدر » « وكرناك » « وأبى طاب » « وعبيات » وأرجوت • وكان عمق هذه الآبار يتراوح فيما بين ستة أمتار وخمسة عشر مترا وكانت مياهها عذبة نقية تتدفق بغزارة حتى أن أهالى بعض هذه القرى خاصة فى قريتى « عبيات » « وأرجوت » كانوا يعتمدون على مياه الآبار فى رى مزروعاتهم •

ولوحظ ان اراضي هذه القرى رملية مختلطة بالطين وتتميز بخصوبتها وصلاحيتها للزراعه ولكن على الرغم من ذلك فلم يقبل على زراعتها سوى بعض الاهالى حيث انصرف معظمهم لتربية الماشية والاشتغال بالصيد . وكانت أهم المزروعات لديهم الذرة وقصب السكر والدخان والخضراوات . ويؤكد « بوردى » أن غالبية سكان هذه القرى كانوا من قبائل البقارة « والكبابيش» والزريقات والبشاريين » وقبائل أخرى تسمى «حاماى» عرف عن أفرادها عدم اشتغالهم بالزراعة واهتمامهم بصيد مختلف أنواع الحيوانات والطيور . وذلك لأكل لحومها والاتجار بجلودها والتزين بريشها . كما عرف عنهم أنهم يميلون الى السرقة وقطع الطريق مستغلين الجبال القريبة منهم كجبال « عين » « وترناح » فى عمليات الاختفاء والتمويه .

هذا وكان « بوردى » قد أنهى بمساعدة «ماسون» رسم الخريطة التى أوضح فيها خط السير الذى اتبعه من دنقلة العجوز الى الفاشر . كما كلف الضابط المصرى محمد سامى باعداد خريطة عن بلدة الفاشر وأخرى عن المنطقة الممتدة من جهاتها الشرقية حتى بلدة «الطويشة» كذلك طلب من « ماسون » التوجه الى جبل « ميدوب » الواقع شمال الفاشر لرسم خريطة توضيحية له .

هذا وقد كلف « بوردى » الضابط المصرى « محمود صبرى » بالتوجه علـى راس بعثة كشـفية الى المنطقـية الشمالية الغربية لدارفور لاستكشافها ورسم خريطـة توضيحية لها • وبالفعل تحرك محمود صبرى من الفاشر فى ١١ ديسمبر سنة ١٨٧٥ على رأس بعثة صغيرة ضمت ستة من الجنود المصريين مزودين بأسـلحتهم وذخائرهم ومؤنهم • وقد استغرقت هذه البعثة فى اداء مهمتهـا قرابة خمسين يوما اذ عادت الى الفاشر فى ٣٠ يناير سنة ١٨٧٦ • وعندئذ قدم محمود صبرى الى بوردى تقريرا كاملا عن الاستكشافات التى توصل اليهـا فى المنطقة الشمالية الغربية لدارفور ، كما قدم له خريطة تفصيلية توضح المناطق التى مر بها أثناء جولته الكشفية هذه • فقد ورد بالتقرير أن عددا من الحلل أو القرى الصغيرة كانت توجد بهذه المنطقة منها قرى : التمرة وتومياش والملاقاة والينداقة وبوه والحواميد ولميوط وتركمان وبلدن وحرسم وعدا النبق • وكان يقطن بهذه القرى عدد قليل من السكان اذ كان يتراوح عـدد سـكان القرية الواحدة فيما بين مائة ومائة وخمسين نسـمة ، بينما تميزت قرى أخرى مثل « كوبيـه » وكلكل وكبكبيـه باتساع مساحتها وبزيادة عـدد سـكانها وذلك بسبب ما كانت تشتهر به هـذه القـرى من اقامة الأسـواق التجارية بها خاصة أسواق تجـارة الرقيق • وأوضـح

التقرير كذلك ان هذه القرى لم تجد صعوبة فى الحصول على المياه اذ كانت تجاورها وديان مختلفة تنتشر بها عدة آبار مائية مثل آبار « وادى المجدوب » وآبار « وادى كتم » وغيرها من الآبار الموجودة فى وديان « كوبيه » « وأبو سكات » « وأبو عرديب » «وأبو سنطر» « وعديد خير » « ويرقو » « وأبو جلدة » « وسبعان » « والطينة » . وقد لوحظ كثرة الآبار بصفة خاصة فى « وادى كوبيه » الواقع فى غرب الفاشر بنحو خمسة أميال حيث كان يتميز عن بقية الوديان الأخرى باتساعه فقد بلغ عرضه حوالى ثلاثمائة متر وعمقه كان يتراوح فيما بين متر وثلاثة أمتار ، كما أن مجرى هذا الوادى كان يتجه من الشمال الى الجنوب حيث كان ينبع من جبال « سى » الواقعة على بعد خمسة عشر ميلا شمال شرق بلدة « كبكبيه » ويتوقف جريانه عند بلدة « دار الزريقات » جنوبا مكونا البرك والمستنقعات وذلك عندما تكون مياه الأمطار قليلة . أما فى السنوات التى تتساقط فيها الأمطار بغزارة فانه يستمر فى جريانه الى الجنوب حتى يصب فى بحر « الزريقات » الواقع جنوب دارفور والذى يسير مجراه من الغرب الى الشرق حيث يصب فى بحر الغزال .

على كل ثبت لدى أفراد البعثة المصرية ان أعماق هذه الآبار كانت لا تقل عن خمسة أمتار ولا تزيد على عشرين مترا وان مياهها صالحة للشرب حيث تميزت بعذوبة مذاقها وخلوها من الشوائب ، فضلا عن ان كمية المياه المستخرجة منها كانت غزيرة مما جعل سكان هذه المناطق يستغلونها فى رى مزروعاتهم بجانب مياه الأمطار • كذلك أوضحت الاستكشافات المصرية وجود مناجم عديدة لمعدن الرصاص فى أنحاء مختلفة بهذه الجهات وان كانت تكثر بصفة خاصة فى بلدة «البنداقة» الواقعة شمال شرق بلدة « الملاقاة » فى الاتجاه الغربى للفاشر • فضلا عن ذلك كان يتوافر بهذه الجهات معادن أخرى كالذهب والفضة والحديد والنحاس •

وذكر « محمود صبرى » أيضا أن أهالى هذه المناطق ينتمون الى قبائل مختلفة من العربان أشهرها قبيلة : « الحونيه » « وبنوحسين » « والزبادية » « والبديان » « والعريقات » « والمحاميد » « والماهرية » « والفزان » • وقد لوحظ أن أفراد هذه القبائل كانوا يتكلمون اللغة العربية على الرغم من تعدد بعض اللغات المحلية كاللغة « الفورية » واللغة « الزغاوية » • كما لوحظ أن غالبية أفراد هذه القبائل تدين بالاسلام غير

أن ايمانهم كان ضعيفا وذلك بسبب عدم معرفتهم بشرائعه وفرائضه معرفة كاملة ٠

هذا وقد تمثلت الظاهرة الواضحة لدى هذه القبائل في اهتمامها بتربية الابل حتى عرفت باسم « القبائل الآباله » ومن ثم شوهدت أعداد كبيرة من الابل ترعى الحشائش والأعشاب الممتدة في مساحات واسعة هناك ٠ كما شوهدت بجانب الابل قطعان أخرى كثيرة من الجاموس والأغنام والماعز بالاضافة الى الأبقار التى حظيت باهتمام معظم أفراد قبيلتى « الحوتية » « وبنوحسين » ٠ والجدير بالذكر انه بينما كان معظم رجال هذه القبائل يرعون الابل والماشية، كانت نساؤهم تقمن بأعمال فلاحة الأرض وزراعة المحصولات ٠

ويوضح التقرير أن الأراضى هناك صالحة للزراعة خاصة الرملية التى تفوقت في مساحتها عن الأراضي الطينية ٠ وكانت تقسم الأراضى المزروعة الى أحواض صغيرة يتم حرثها بآلات يدوية تشبه الفأس ، ثم تروى بعد وضع البذور اما بالاعتماد على مياه الأمطار واما على مياه الآبار القريبة من الأراضى وذلك باستخدام الشواديف حيث ترفع المياه من الآبار وتصب في قنوات متصلة بالأراضى المزروعة ٠ وقد تمثلت أشهر المحصولات الزراعية هناك في الذرة والسمسم والقطن

والقمح والدخان والبطيخ بالاضافة الى بعض المحصولات الأخرى كالبصل والثوم والشبطة والكزبرة والشمر والحلبة واللوبيا والبامية والملوخية والقرع ، كما كان يكثر بهذه الجهات زراعة نخيل البلح واشجار العنب والدوم ٠

وأشار محمود صبرى فى تقريره كذلك الى الأسواق التجارية التى كانت تقام فى بعض البلدان هناك فاوضح بأنها كانت تقام يوميا فى بلدتى « كلكل وكبكبية » وبينما لوحظ اقامتها فى بلدة « كوبية » وقرى « دارزغاوة طوار » يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ٠ وكانت تعرض فى هذه الأسواق المنتجات المحلية سواء كانت زراعية أو صناعية ، كما كانت تعرض فيها أنواع الدواب المختلفة من الابل والخيول والماشية وكذلك المنتجات الحيوانية كاللحوم والجلود والألبان والدهون ٠ وقد بلغت هذه الأسواق شهرة كبيرة فى تجارة العاج ، كما انها اعتبرت من أهم مراكز تجارة الرقيق فى القارة الأفريقية ، حيث كانت تعرض بها عشرات المئات من الرقيق : رجالا ونساء وأطفالا من كافة الأعمار ٠ وبالتالى كان يفد الى هذه الأسواق جموع كبيرة من التجار العرب والأوربيين ممن يتاجرون بالرقيق وكانوا يجلبون معهم بعض المنتجات الأخرى

كالأقمشة المتنوعة والأسلحة النارية وأنواع الخمور والسجائر وغيرها ٠

وهكذا يمكن القول بأن تقرير « محمود صبرى » يعتبر من أهم المصادر التي تناولت بالتفصيل معالم جهات دارفور الشمالية الغربية ٠ وقد قوبلت جهوده الكشفية هذه بترحيب كبير لدى قائد البعثة المصرية « بوردى » الذى أرسل الى « ستون » باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى بما يفيد ضرورة ترقيته وذلك تكريما لجهوده الكشفية ٠

وعقب عودة بعثة محمود صبرى الى الفاشر فى ٣٠ يناير سنة ١٨٧٦ اعتزم « بوردى » القيام برحلة كشفية أخرى الى الجهات الواقعة جنوب دارفور خاصة المنطقة الممتدة من دارة الى « حفرة النحاس » طبقا لرغبة هيئة الأركان المصرية فأعد على الفور بعثة كشفية تولى هو رئاستها وضمت «ماسون» «وبروت» والدكتور « بفوند » وتسعة من الضباط المصريين وعددا آخر من الجنود بلغ حوالى عشرين جنديا ٠ وبدأت البعثة مهمتها من الفاشر فى ١٦ فبراير سنة ١٨٧٦ حيث سارت الى الجنوب فى طريقها الى بلدة « دارة » ٠ وتجدر الاشارة الى أن بروت تمكن أثناء سيره من رسم خريطة « لجبل

قمرة » الواقع فى الاتجاه الجنوبى الغربى من الفاشر ، كما تمكن « ماسون » من رسم خريطة آخرى للطريق الواصلة بين الفاشر وجبل مرة • وعند وصول البعثة الى « دارة » شرع أعضاؤها فى تحديد موقعها جغرافيا فثبت لديهم انها تقع على خط عرض ٢٥ً ١٠َ ١٢° شمالا وعلى خط طول ٦ً ٢١َ ٢٥° شرقا وانها ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ١٦٢٢ قدما وهى تشغل مساحة صغيرة من الأراضى يقطنها عدد قليل من الأهالى يهتمون بالزراعة وتربية الماشية • ثم لم يلبث « بوردى » بعد ذلك أن مضى ببعثته غربا فى طريقه الى حفرة النحاس • وقد أوضح بأن الطريق المؤدية الى حفرة النحاس هذه تتميز بكثرة آبارها المائية منها آبار كيركيرى « Kir kery » •
وآبار سل ـ بل ـ جنايا « sul-Bel--Ganya » وآبار الأقدار « El Akdhar » . وآبار الهامير « El-Hamir »

وكانت مياه هذه الآبار عذبة وخالية من الشوائب • الأمر الذى ساعد معظم القبائل هناك على الاقامة بجوارها ، من هذه القبائل قبائل : برجاويس Bergawis وبنى حالبا « Beni Halba » والفاجارا « El-Faggara » والبرجيت « El-Bergit » والتونجور « El-Tongur » والجارجار « El-Gargar » • كذلك أشار « بوردى » الى انه توجد

بهذه المنطقة بحيرة كبيرة تسمى كوندى Koundie » كان يبلغ عرضها حوالى ٢٠٠ متر ويكثر بها عادة الأسماك المختلفة الأنواع والتماسيح وأفراس النهر ، كما كان يوجد بالقرب منها بحيرة أخرى صغيرة تعرف باسم « بيفى Pine » كانت تعد المورد المائى الأساسى لمعظم حيوانات المنطقه • كما أوضح « بوردى » أن هناك العديد من البرك المائية والمستنقعات كانت تنتشر فى المنطقة بيد انها كانت تعد مكمن خطورة على حياة المسافرين خلال الطريق الممتدة من دارة الى حفرة النحاس ، وذلك بسبب انتشار الحشرات الضارة بها خاصة الذبابة المعروفة فى هذه المناطق باسم امو بوجانو Omo-Bogano » والتى تسبب لدغتها قتل الماشية والابل ، كما انها تصيب الانسان بمرض النوم مثلما تفعله ذبابة تسى ـ تسى Tes-tes » المنتشرة فى وسط القارة الأفريقية •

وأكد « بوردى » من جهة أخرى انه على الرغم من وفرة المياه بهذه المناطق وخصوبة الأراضى بها ، فان اقبال الأهالى على الزراعة هناك كان محدودا اذ لا يتعدى زراعة مساحات صغيرة من الأراضى بالذرة وبعض الخضراوات • كما لوحظ أن جميع الأراضى الممتدة من دارة الى حفرة النحاس كانت لا تخلو من الأشجار

الضخمة وبالتالى كثرة تواجدالغابات بهذهالمناطق • ولعل من أكثر الأشجار التى تكونت منها هذه الغابات أشجار الكتر واللعوط والسيال والهشاب والحراز والسنط • وبطبيعة الحال كانت تكثر بهذه الغابات الحيوانات المفترسة مما كان يحول دون الاقتراب منها للاستفادة من أخشابها • فضلا عن ذلك فقد لوحظ وجود الحشائش والأعشاب والنباتات الطبيعية تغطى مساحات شاسعة من الأراضى فتمكن الدكتور « بفوند » من جمع عينات مختلفة منها لتحليلها وارسالها الى القاهرة للتأكد من نتائج تحليلاته •

على كل وصلت البعثة المصرية الى حفرة النحاس الواقعة فى أقصى حدود دارفور الجنوبية الغربية وهناك أنهى « بوردى » رسم خريطة للطريق التى اتبعها وافراد بعثته من دارة الى حفرة النحاس وقد أوضح فى التقرير الذى أعده عن اكتشافاته فى المنطقة • أن منطقة حفرة النحاس عبارة عن عدة مناجم تزخر بمعدن النحاس وتمتد فى قطاع طولى من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى • وكل منجم لا يخرج عن كونه حفرة كبيرة يبلغ طولها حوالى خمسمائة قدم وعرضها نحو خمسين قدما ولا يقل عمقها عن عشرة أقدام ويستخرج النحاس منها بكميات كبيرة ، والجدير بالذكر أن هذه الحفر كانت قد

عملت بواسطة آهالى هذه المنطقة الذين كانوا يعملون جميعا بالبحث والتنقيب عن معدن النحاس ٠

وقد توقفت البعثة المصرية في جولتها الكشفية عند منطقة حفرة النحاس ٠ ثم عادت بعدها الى الفاشر ليختتم « بوزدى » بذلك أعماله الكشفية فى منطقة دارفور ويكون قد حقق نجاحا ملحوظا فى اكتشافاته سواء تلك التي تمت بواسطته أو التى تمت بمعرفة الضباط المرافقين له ٠ ويكفى أن بعثته الكشفية كانت قد استكشفت سن الطرق ما طولها ٦٥٠٠ ك٠م تقريبا وحققت ٢٢ موقعا فلكيا ٠ فضلا عن اهتمامها برسم الخرائط التوضيحية للمناطق التى جانبها ٠

وهكذا يمكن القول أن البعثات الكشفية المصرية المرسلة الى منطقتى كردفان ودارفور ، قد حققت أهدافها المرجوة فى استكشاف الجهات الواقعة بغرب السودان ، وهى تبين فى الوقت نفسه مدى حرص مصر على توسيع دائرة نشاطها الكشفى فى الجهات الأفريقية المختلفة ، وهو الأمر الذى يؤكد صدق اهتمامها بحركة استكشاف القارة وخدمة الأغراض العلمية والجغرافية ٠

الكشوف المصرية فى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن

كان ادخال مينائى سواكن ومصوع فى حوزة مصر سنة ١٨٦٥ وبالمثل ميناء زيلع سنة ١٨٧٥ ، سببا فى امتداد الوجود المصرى الى جهات عديدة تقع بالساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن كجهات : زولا وبيلول ورهيطة وتاجورة وبلهار وبربرة وكذلك الى جهات ساحل الصومال المطل على المحيط الهندى مثل جهات : رأس جردفون و « رأس حافون » « وبراوة » « وقسيمايو » « ولامو » « وفرموزة » ، بالاضافة الى بلاد أخرى تقع بشرق أفريقيا كبلاد « العيسى » « والنولى » « وأوسة » وهرر « والجاد بيورس » .

ولقد عمل الوجود المصرى فى هذه الجهات على مناهضة تجارة الرقيق بقدر المستطاع وادخال التجارة

المشروعة بها ، فضلا عن الاهتمام بتعميرها والنهوض بمستوى أهلها • بيد أن مصر تمكنت من اجراء استكشافات مهمة بهذه الجهات مساهمة منها فى حركة استكشاف القارة وخدمة الأغراض العلمية والجغرافية • وسوف نعرض فى صفحات هذا الفصل جهود مصر الكشفية فى المناطق الممتدة بطول الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن • ونستكمل فى الفصل اللاحق بقية الجهود المماثلة فى جهات الساحل الصومالى وشرق أفريقيا •

والواقع أن نشاط مصر الكشفى فى جهات الساحل الأفريقى المطل على البحر الأحمر وخليج عدن كان قد بدأ فى بلدة سواكن حيث ارتبط النشاط الكشفى بها بجهود الضابط المصرى « أحمد ممتاز باشا » وقت ان كان محافظا لها • وكذلك فى الوقت الذى كان يتولى فيه منصب مدير عموم شرقى السودان ومحافظ سواحل البحر الأحمر •

ففى أثناء توليه منصبه الأول كان قد أجرى بها استكشافات ، أعد على ضوئها تقريرا بعث به الى الخديو وقد أوضح فى هذا التقرير أن محافظة سواكن كانت تضم الى جانب بندر سواكن بلدان سنكات وطوكر

وعقيق ، فضلا عن قرى أخرى صغيرة كانت تتبع المحافظة منها قرى هيدوب وترنكيتات والشيخ برغوث، كما اوضح بأنه كان يوجد على بعد مسافة ليست قصيرة من سواكن خوران للمياه العذبة يسمى أحدهما « التمانيب » « والافر شوكية » بيد أن بعد المسافة بينهما وبين سواكن قد حال دون أن يستفيد الاهالى هناك من مياههما واصبحوا يعتمدون على مياه الآبار المنتشرة بكثرة في الجهة الغربية للبندر حيث مجرى وادى « الشاطة » والملاحظ ان مياه هذه الآبار كانت تشوبها المرارة باستمرار ومع ذلك فالأهالى يعتمدون عليها فى شرابهم ومتطلبات حياتهم اليومية مما أدى الى اصابة الكثيرين منهم وكذلك اصابة معظم الجنود المصريين والسودانيين المقيمين هناك بمرض « الاسكربوط » خاصة انهم كانوا لا يتناولون أنواع الخضراوات المختلفة فى طعامهم لعدم امكانية زراعتها هناك بسبب المرارة الشديدة الملازمة لمياه الآبار • وأضاف ممتاز باشا أن أراضى سواكن صالحة للزراعة غير انها لم تستغل بعد فى زراعة المحصولات المختلفة لعدم توافر المياه اللازمة لها • وقد أمكن التغلب على هذه المشكلة فى ظل الادارة المصرية وذلك حينما استطاع ممتاز باشا بناء خزان تتجمع فيه مياه خور التمانيب المنسابة فى البحر الأحمر دون الانتفاع بها وكانت سعة هذا الخزان

تقدر بنحو ۲۵۰٫۰۰۰ متر مكعب من المياه ثم أمكنه عمل توصيلات من المواسير الفخارية لتزويد البلدة باحتياجاتها من المياه العذبة كذلك اهتم بحفر ترعة كبيرة بلغ طولها حوالى ستة آلاف متر كانت تصل فيما بين الخزان وخور شوكية وتمر بالقرب من سواكن ٠ غير أن هناك تقريرا وافيا أعده ممتاز باشا فى ٢٦ مارس سنة ١٨٧١ وقت أن كان مديرا لعموم شرقى السودان ومحافظا لسواحل البحر الأحمر ، تضمن نتائج رحلته الكشفية للبلدان الأفريقية الممتدة بطول ساحل البحر الأحمر وخليج عدن والواقعة تحت اشرافه ٠ ففيما يتعلق ببلدة سواكن أوضح ممتاز باشا انها تقع على خط عرض ١٩° شمال خط الاستواء وهى تعد ميناء مهما على البحر الأحمر يتميز بالاتساع رغم قلة عمقه وأوضح كذلك أن عدد القاطنين بها وبالمناطق المجاورة لها كان يقدر بحوالى مائة ألف نسمة وان كانت منهم جموع كبيرة من الأروام والهنود واليهود والفرنسيين الذين كانوا يفدون الى هذه المناطق اما للاشتغال بتجارة العاج وريش النعام والجلود والسمسم والصمغ وغيرها واما للقيام بأعمال صيداللؤلؤ المتواجد بكثرة فى سواحل المنطقة ٠ وقد لوحظ أن أهالى سواكن يتكلمون لغة محلية عرفت باللغة « البجاوية » بينما

خصصت اللغة العربية هناك في المعاملات اليومية واللغة التركية في الأعمال الحكومية • كما لوحظ من ناحية أخرى ان منازل الاهالى كانت تبنى من الاحجار المستخرجة من شعاب البحر وباستعمال الطمى الراسب بالمناطق المجاورة لها وقت « المد » الذى ينتهى فى شهر ديسمبر وينكشف وقت « الجذر » الذى يبدأ فى شهر مايو ويستمر حتى شهر يوليو • كذلك شوهدت بسواكن عدة محلات صغيرة يقوم الأهالى بالاتجار فيها ، فضلا عن وجود الأسواق الكبيرة المسماة لديهم باسم « الوكالة » والأسواق الصغيرة الأخرى المسماة أيضا « بالقيسارية » والتى كان يتفرع منها جملة سويقات أخرى تضم عددا من المحلات والمتاجر الصغيرة والخاصة بتجارة الأقمشة والعطارة وغيرها •

أيضا أشار ممتاز باشا فى تقريره الى صلاحية أراضى سواكن والأراضى الأخرى المجاورة لها للزراعات المتنوعة كالقطن والذرة والبطيخ والخضراوات المختلفة، بيد أن هذه المزروعات كانت تهاجمها من ناحية أسراب الجراد المنتشرة بكثرة هناك ، ومن ناحية أخرى كانت تتعرض لاخطار السيول المائية القادمة من الحبشة عن طريق « خور بركة » وقد دمرت تلك السيول مساحات كبيرة من الأراضى المزروعة هناك •

والجدير بالذكر أن الزراعة في سواكن كانت قد حظيت باهتمام الأهالى هنـاك خاصـة بعـد التسهيلات الكثيرة التى وفرتها لهم الادارة المصرية كجلب البذور المراد زراعتها واحضار الآلات اللازمة لحـرث الأرض والآلات الخاصة باستجلاب المياه وغيرها من التسهيلات المختلفة التى أدت فى نهاية الامر الى شهرة هذه المناطق بالزراعات المتنـوعة وعـلى وجـه الخصـوص زراعة القطن ٠

وأوضـح ممتاز باشـا كذلك أن سـواكن كانت تشتهر بتجارة الملح نظرا لوجـود ملاحتين بشـمالها احداهما تسمى « درج » والأخـرى تسـمى « دوابة » وكان الملح يستخرج من هاتين الملاحتين بكميات كبيرة ويرسل معظمه الى جدة والهند ٠

وقد اقترح ممتاز باشا عـلى الخديو ضرورة مد خطوط حديدية تربط الملاحتين بساحل البحر الأحمر حيث قدرت المسافة بينهما بنحو ١٥٠٠ متر ، مما كان يستلزم نفقات كثيرة تنفق على عمليات نقله بواسـطة الدواب الى مراكب التصدير ، وبالتـالى كان يستنفد ذلك أغلب ثمن الملح المستخرج ٠ وقد وافق الخديو على هذا الاقتراح وبادر باتخـاذ الاجـراءات اللازمة التى تكفل اقامة الخط الحديدى المطلوب ٠

أما بلدة « مصوع » فقد اجريت بها عدة استكشافات قام بها الضابط حسن أفندى رفعت ثم احمد ممتاز باشا فبعد ان تسلم حسن افندى رفعت ادارة مصوع فى ٣٠ ابريل سنة ١٨٦١ بوصفه المحافظ المعين لها من قبل الحكومة المصرية ، فضل القيام بعدة جولات داخل المحافظة بغرض الوقوف على احوالها ، وقد تمكن بالفعل من معرفة بعض الحقائق المهمة عن « مصوع » أوضحها في تقرير بعث به الى الخديو فى ٢١ مايو سنة ١٨٦٦ تضمن حالة المباني العامة الموجودة بمصوع كمبنى الديوان والجمرك والجامع الشافعى والكنيسة الفرنسية فذكر حسن رفعت أن اجزاء كبيرة من هذه المباني كانت آيلة للسقوط بينما تهدمت منها الأجزاء الأخرى الباقية وأصبحت أكواما من التراب . أما فيما عدا هذه المباني الحجرية فكانت هناك منازل الأهالى التى أغلبها عبارة عن توكولات (أكواخ) مخروطية الشكل ، أقيمت من القش وفروع الأشجار وأوراقها وباستعمال الطين . كما لوحظ وجود بعض المنازل المبنية من الاحجار المستخرجة من البحر والقائمة كذلك بغير تنظيم هندسى وعدم مراعاة لتخطيط الشوارع والحارات المقامة بها . وأضاف حسن رفعت فى تقريره انه كان يوجد بضواحي مصوع عدد من القرى الصغيرة

مثل قرية « كوم بللى » « وعيطلة » « وحتفلى » «وحرقيقو» «وخطوملى» و « آم كلو » وقد تميزت هذه القرى باعتدال مناخها ووفرة مياه الآبار بها حتى أن كثيرا من الاوربيين كانوا يلجاون اليها للاقامه بها • كذلك شوهدت بعض الملاحات القريبة من مصوع كملاحات « بردولة » « ورقد عصا على » « وعتبورى » « وحصمت » كان يستخرج منها كميات كبيرة من الملح يقبل على شرائها تجار كثيرون من الحبشة • غير أن العائد المتحصل من هذه الملاحات كان بسيطا وذلك لعدم وجود رقابة كافية على الايرادات التى كان يستأثر بمعظمها مشايخ العربان المقيمون بجوار هذه الملاحات كمشايخ عربان : « فستان » « وحرقوا » « وبنى سرا » و « ولددردر » • وقد تعهد حسن بك رفعت في نهاية تقريره بضبط ايرادات الملح وفرض الرقابة الكافية عليها ، كما تعهد ببذل أقصى مساعيه لاصلاح أحوال مصوع من حيث اعادة بناء المبانى المتهدمة أو الآيلة للسقوط وكذلك علاج المرضى والعناية بهم وتوفير المياه العذبة للأهالى هناك والعمل على نشر الأمن واستتبابه في مختلف أنحاء محافظة •

وكان قد أقام على وجه السرعة طاحونة لطحن الغلال ومخبزا لصنع الخبز ، كما شيد كوخا كبيرا لعلاج المرضى ، زوده بالأدوية والغذاء والملابس والمفروشات

اللازمة ، فكان هذا الكوخ بمثابة مستشفى مؤقت تم اعداده لعلاج الحالات الطارئة من المصابين وذلك حتى يتم انشاء المستشفى الدائم بالمحافظة .

أما الاستكشافات التى أجراها أحمد ممتاز باشا فى مصوع فقد وردت فى تقرير له أعده بعد زيارته للمحافظة في مارس سنة ١٨٧١ حيث أوضح أن غالبية سكان مصوع من عرب قبائل « الحباب » « وبنى عامر » والمعروف عن افراد هذه القبائل انهم كانوا يهتمون بتربية الأبقار والأغنام والماعز، ومن ثم كانوا يرتحلون الى الساحل فى فصل الشتاء حتى ترعى ماشيتهم الحشائش والأعشاب التى تنمو بشاطىء البحر اذ كان يلاحظ افتقار المراعى داخل مصوع لعدم سقوط الأمطار فى هذا الفصل . بينما كانوا يعودون الى الداخل فى فصل الصيف حيث تتساقط الأمطار بغزارة فتنمو الحشائش والأعشاب وبالتالى يتوافر وجود المراعى هناك .

وقد لوحظ عدم اهتمام الأهالى هناك بالزراعة كما لوحظ اهمالهم للتجارة مما شجع التجار العرب والهنود والأوربيين على الرحيل دائما الى هذه المناطق لتصريف بضائعهم ومنتجاتهم من الأقمشة الحريرية والقطنية

وكذلك الأسلحة النارية والذخائر وأنواع التوابل والعطور وغيرها من السلع المختلفة ٠

وذكر ممتاز باشا ايضا ان مصوع تعد جزيرة تمتد من الشرق الى الغرب وتقع على خط عرض ١٥ ° شمال خط الاستواء بموازاة الخرطوم وانها ترتفع عن سطح البحر بنحو اربعة او خمسة امتار وكان يصل المد والجذر بأطرافها الى المتر تقريبا ٠ كذلك أشار الى ان درجة الحرارة بها فى فصل الصيف كانت تصل الى ثمانية وثلاثين درجة ، وتبقى بهذا المعدل طوال الليل والنهار مما كان يسبب ضيقا للأهالى فيرحل معظمهم الى القرى القريبة كخطو ملى « وحرقيقو » « وأم كلو » حيث المناخ المعتدل ٠ وقد أكد ممتاز باشا فى تقريره أن الادارة المصرية استطاعت فى فترة وجيزة اعادة بناء ديوان المحافظة ومبنى الجمرك وقامت بترميم الجامع الشافعى والكنيسة الموجودة بمصوع ٠ كما أمرت الأهالى هناك بهدم منازلهم التى هى عبارة عن أكواخ كانت تقام من القش وفروع الأشجار مما يسبب بها حرائق دائما ، وأوعزت اليهم باعادة بناء منازلهم من الأحجار وباستغلال الجير المتوافر هناك فى تبييضها ٠ هذا وكانت توجد بجوار منازلهم مقابر دفن الموتى وذلك حسب العادات التى اعتاد عليها أهالى مصوع منذ زمن بعيد ،

غير أن الادارة المصرية رأت ضرورة ابطال هذه العادة التي يتسبب عنها ضرر بالصحة العامة • فأعدت للأهالى مقابر خاصة في جزيرة « الشيخ سعيد » الواقعة جنوب مصوع بمسافة خمسمائة متر تقريبا • حيث كانت هذه الجزيرة خالية من السكان تماما •

هذا وقد حرص ممتاز باشا على استكشاف ميناء «زولا» الواقع جنوب مصوع والتابع لها اداريا ، فذكر أن الميناء يمتاز بالاتساع وبوجود الاستحكامات الطبيعية القائمة أمامه والتى تكفل له الأمن والحماية ، كما أن البلدة تمتاز هى الأخرى باتساع مساحتها وأن بها ما يزيد على ٢٫٠٠٠ فدان من الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة غير أن أهالى البلدة البالغ عددهم نحو ٣٠٠ نسمة كانوا لا يهتمون بزراعتها لعدم المامهم بأمور الزراعة وانما كانوا يوجهون اهتمامهم بصفة خاصة الى الرعى وتربية الماشية ، وكذلك الى الاتجار بالملح الذى كان يستخرج بكلميات كبيرة من ملاحة « أرافلة » الموجودة بجنوب زولا • والواقع أن الادارة المصرية بمصوع استطاعت فى فترة قصيرة أن تستحث أهالى زولا على الاهتمام بالزراعة وترغبهم فيها وذلك بعد أن وفرت لهم الامكانات اللازمة لها كالآلات المستخدمة فى حرث الأرض والمعدات الخاصة بالرى ، فضلا عن احضار

كميات كبيرة من بذور المحصولات المراد زراعتها • كما انها اهتمت ببناء سد بالبلدة لحجز مياه السيول المارة بزولا صيفا وشتاء والقادمة اليها من جبال الحبشة وذلك حتى يمكن الانتفاع بها في ري الأراضي بدلا من أن تنساب في البحر هباء • ومن ثم فقد أقبل الأهالي هناك على الزراعة بشكل ملحوظ وأخذوا يزرعون مساحات كبيرة من الأراضي بالمحصولات المختلفة وان كانت اهمها القطن والذرة وبعض الخضراوات •

وعلى العكس من أراضي زولا الصالحة للزراعة فان هناك مساحات هائلة من الاراضي غير صالحة للزراعة تمثلت في أراضي بلدة « بيلول » الواقعة في الاتجاه الجنوبي من «زولا» فقد ذكر عنها ممتاز باشا انها مكشوفة للهواء من كل جانب مما يسبب للمزروعات أضرارا بالغة حيث تتراكم فوقها بطبيعة الحال كميات كبيرة من الأتربة والرمال التي يحملها الهواء ويلقى بها على المزروعات ، ومن ثم فقد لوحظ قلة سكان هذه البلدة اذ لا يتجاوزون مائة نسمة وكانوا يقطنون في حوالي عشرين كوخا هي بالتقريب مجموع الأكواخ الموجودة بالبلدة ، وكان غالبية هؤلاء السكان يعملون بالتجارة خاصة تجارة الجلود والحصير المصنوع من

خوص اشجار الدوم بينما اهتم بعضهم بتربية الماشية والابل ٠

وعن بلدة « رهيطة » أوضح ممتـاز باشا انهـا صغيرة المساحة وأن أراضيها صالحة للزراعة غير ان سكانها لا يهتمون بالزراعة وانما يوجهون اهتمامهم الى التجارة وتربية الماشية وقد ارتبطوا بعلاقات تجـارية مع بلاد اليمن وعدن فكانوا يصدرون الى أهالى اليمن وعدن : الماشية والحصـير وريش النعـام بينما كانوا يستوردون منهم الأرز والذرة والخضراوات المختلفـة وكذلك الأقمشة القطنية والحريرية ٠

والى الجنـوب من « رهيطة » كانت توجـد بلدة تاجورة (أو تجرة) وهى تقع حسب تقرير ممتاز باشا، خارج باب المندب وفى وسط الخليج المعروف باسمها والذى يبلغ طوله نحو ٢٧ ميلا ٠ وأوضح أن أراضيها صالحة للزراعة غير أن المساحة المنزرعة منها قليلة ٠ وكان سـكانها يهتمـون بزراعة القطن والذرة ونخيل البلح ٠

وأوضح كذلك ممتاز باشا أن غالبية أهالى تاجورة كانوا يرتحلون دائما الى بلاد الحبشة وعدن والحديدة حيث يمارسون الأعمال التجارية فيحضرون منتجات هذه

البلدان من الاقمشة والسلع الغذائية وأدوات الزينة وغيرها وذلك للاتجار بها في بلادهم ·

كذلك ذكر مهندس المعادن الأمريكي « ميتشل Mitchell » الذى توجه الى تاجورة على راس بعثه جيولوجية مصريه في اكتوبر سنة ١٨٧٥ وبمصاحبة الضابط المصرى عبد الفتاح فتحى أن الاراضى المجاورة لتاجورة تعد من الأراضى الحجرية الصلبة لانها تتكون من الحصى والرمل والأحجار الجيرية وكذلك الصخور البازلتية ، فضلا عن انه يوجد بها بعض التلال المرتفعة عن سطح الأرض بمقدار يتراوح فيما بين ٣٠ و ٦٠ مترا · هذا وقد قام ميتشل بجمع عينات لبعض الصخور حتى يتمكن من تحليلها في القاهرة ·

وتواصل مصر جهودها الكشفية في منطقة الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن فيكلف الخديو اسماعيل « منز نجر بك » محافظ شرقى السودان وسواحل البحر الأحمر باجراء استكشافات في منطقة زيلع وذلك بعد ادخالها في حوزة مصر في أول يوليو سنة ١٨٧٥ · وبالفعل أجرى منزنجر استكشافاته بالبلدة فتبين أن زيلع مدينة صغيرة في مساحتها تقع على الشاطىء الغربى لخليج عدن وهى تعد

ميناء غير صالح للملاحة حيث تكثر بشاطئها الشعب المرجانية التي تحول دون اقتراب السفن منها فكانت تبقى على بعد ميل تقريبا من الشاطىء • والجدير بالملاحظة أن الادارة المصرية اهتمت فيما بعد ببناء جسر حجرى يوصل فيما بين مرسى السفن والشاطىء يبلغ طوله حوالى ٣٥٠ مترا وعرضه نحو ٧ أمتار وذلك حتى يسهل أعمال شحن وتفريغ البضائع سواء الصادرة من زيلع أو الواردة اليها •

كذلك أشار منزنجر الى الطرق الموجودة بزيلع فأوضح بأنها كانت ضيقة للغاية ومتربة وغير منتظمة الشكل وذلك لعدم مراعاة التخطيط الهندسى فى بناء العشش والمنازل الحجرية القليلة المقامة عليها •

هذا وحينما تقلد رؤوف باشا ادارة زيلع فى ١٦ يوليو سنة ١٨٧٥ كلف اثنين من ضباط هيئة أركان حرب الجيش المصرى المرافقين له هما البكباشى (مقدم) محمد أفندى مختار والصاغقول آغاس (رائد) عبد الله أفندى فوزى باستكشاف منطقة زيلع ورسم الخرائط التفصيلية لها • وقد ذكر الضابطان أن مدينة زيلع تقع على خط عرض ٥٢ ٩ ١١° شمالا وخط طول ١٤ ٢٤ ٤٣° شرقا وقد قدرت مساحتها بنحو ٣٣

فدانا وأن طولها كان يبلغ حوالى ٤٣٠ مترا وعرضها نحو ٣٣٠ مترا . وأن أهالى زيلع يجدون صعوبة بالغة في حصولهم على المياه العذبة الصالحة للشرب اذ ان المياه المستخرجة من الآبار القليلة الموجودة بزيلع غير نقية وذات ملوحة شديدة مما كان يسبب للشاربين منها أمراضا مختلفة ومن ثم كانوا يحصلون على المياه العذبة من الابار الموجودة داخل غابة غير كثيفة الأشجار - تقع شمال غرب زيلع في منطقة تسمى « تخشة » وكانت تبعد عن زيلع بمسافة ستة كيلومترات تقريبا . وقد لوحظ بزيلع مساحات كبيرة من الأراضى الصالحة للزراعة غير انها لم تستثمر بعد في زراعة المحصولات المختلفة لعدم وفرة المياه اللازمة لرى الأراضى المزروعة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لعدم اهتمام الأهالى هناك بالزراعة . كذلك شوهدت بشمال غرب زيلع مساحات واسعة من الأراضى المالحة ، كان يقبل عليها الأهالى لاستخراج الملح منها ، وكانت هذه العملية تتم بصورة مبسطة اذ لا تحتاج سوى الحفر في أعماق الأرض الى مسافة صغيرة لا تزيد على ٨٠ سنتيمترا ثم تترك بعد ذلك لمدة تتراوح فيما بين يوم وثلاثة أيام حيث تكون قد تكونت على سطح الأرض طبقات كبيرة من الملح الذى يتميز بجودة مذاقه وشفافية لونه فضلا عن انه يكون عديم المرارة قليل الجروشة .

كذلك ذكر الضابطان أن أهالى زيلع يتمسكون بالدين الاسلامى ويحرصون على أداء الصلاة فى أوقاتها وعلى الرغم من ذلك فكانت تؤخذ على الأهالى هناك بعض التصرفات التى تتنافى مع تعاليم الاسلام كعدم الاهتمام بالعمل واللجوء الى الراحة والكسل لفترة طويلة من الوقت قد تصل الى عدة شهور ، فضلا عن الميول الى احداث المنازعات والمشاجرات والخصومات فيما بينهم وهو الأمر الذى كان يستلزم أن يكونوا دائما مسلحين حتى وهم فى داخل المسجد وكانت أسلحتهم تلك لا تتعدى الرماح والسيوف والخناجر والعصى ذات الرؤوس الغليظة وكان أولادهم الذين لا يتجاوزون الثمانية أعوام يتسلحون بذات الأسلحة ٠

هذا وقد تمكن الضابطان فى النهاية من رسم خريطة توضيحية للمدينة ٠

وفى أكتوبر سنة ١٨٧٥ أوفدت الحكومة المصرية مهندس المعادن الأمريكى « ميتشل » الى زيلع للتأكد من وجود الفحم بها حيث سبق لأحد المهندسين الانجليز استكشافه هناك ٠ غير ان « ميتشل » ثبت لديه ونتيجة لاستكشافاته عدم وجود الفحم بكميات كبيرة اذ كانت تتواجد منه قطع صغيرة جدا فى جهات متفرقة بغرب وجنوب زيلع ، وقد تمكن ميتشل من جمع عينات من هذا

الفحم وأرسلها الى البحرية لاختبار مدى صلاحيتها فى وقود البواخر ، ويبدو أن نتائج الاختبار لم تكن ايجابية اذ صرف النظر عن استغلال قطع الفحم القليلة الموجودة هناك .

ومن جهة أخرى فقد ذكر عبد القادر باشا مأمور ضبطية مصر عندما كان فى زيارة لمدينة زيلع فى ديسمبر سنة ١٨٧٥ أن المدينة تمتاز بهوائها المتجدد وبأنها تكاد تكون خالية من الأمراض وأشار الى كثرة الأشجار الموجودة بها مما يمكن استغلال أخشابها فى مختلف النواحى المعمارية فضلا عن وجود أعداد كبيرة من الثيران وقلة ما يوجد بها من الماشية والابل والخيول .

وفى مارس سنة ١٨٧٧ بعث أبو بكر شحيم محافظ زيلع خطابا الى الخديو أشار فيه الى الانتهاء من بناء المخزن الكبير الذى رأى ضرورة بنائه بزيلع لتخزين الملح الذى كان يطلق عليه هناك اسم « المصلح » والذى كان يستخرج بكميات هائلة من ملاحات « الهلو » « وزورى » « وبنادولى » « وفروين » كما أشار الى أن عملية استخراج الملح من هذه الملاحات كانت تتم بطريقة منتظمة وتحت رقابة واشراف الادارة المصرية ، مما

كان يكفل ضبط العمل بهـذه المـلاحات والحيلولة دون تهريبه وبيعه بأسعار مرتفعة ٠

وفى الاتجـاه الجنـوبى الشرقى من زيلـع كانت توجد بلدة « بلهار » وقد اجريت بها استكشافات مصرية بواسطة ممتاز باشا ثم منزنجر بك ٠ فأوضـح ممتاز باشا انها تعد ميناء صغيرا غير صالح للملاحة البحـرية لأنه ضحل ومعرض لهبوب الرياح الشمالية التى يتسبب عنها حدوث أمواج عنيفة تستمر طوال النهار مما كان يصعب عندئذ على المراكب والسفن المحملة بالبضـائع دخول الميناء لتفريغ حمولتها وانما كان يفضل القيـام بهذه الأعمال ليلا حيث تهدأ الرياح وبالتالى الأمواج ٠ وذكر أيضا أن سكان بلهار كانـوا يقيمون فى فصـل الشتاء حسب عاداتهم فى داخـل البلدة بينما يرحلون الى الجبال القريبة فى فصل الصيف حيث يشتد سـقوط الأمطار ويصعب معه الاقامة بالداخل لسوء الأحـوال المناخية ٠ وقد لوحظ أن غالبية أهالى بلهـار يعملـون بالتجارة ، فكان يرد اليهم من بلاد اليمن وعدن ومسقط وحضرموت منتجات هذه البلاد كالأرز والتمر والأقمشة والدخان والحديد الخام والنحـاس وأنـواع الخـرز والقصدير لاستخدامه فى صنع السـيوف والخنـاجر ومقابض السكاكين ، فضـلا عن ذلك فكانت ترد اليهم

أيضا منتجات هرر والحبشة كالبن والعاج والجلود وريش النعام والمسلى واللبان وكذلك الأبقار والاغنام والخيول والحمير ·

أما منزنجر بك فقد أشار الى ان اراضى بلهار تتميز بالخصوبة مما يجعلها صالحة للزراعة خاصة زراعة أشجار الصمغ واللبان كما تتوافر بها المياه اللازمة لرى الأراضى وان كانت غالبيتها مياه آبار متوسطة العذوبة · كذلك أوضح « منزنجر » ان أهالى بلهار كانوا يرتبطون أشد الارتباط بأهالى « بربرة » التى تقع الى الشرق من بلهار بمسافة ٤٠ ميلا تقريبا ومن ثم فان هناك علاقات تجارية وطيدة بين أهالى البلدين وقد نادى منزنجر بضرورة تأمين الطريق الواصلة بينهما حيث دأبت احدى القبائل القاطنة بجوار الطريق وهى قبائل « عيسى موسى » على قطع الطريق الممتدة بينهما والاستيلاء على كل ما تحمله قوافل التجارة المارة به · وقد اهتمت الحكومة المصرية بهذا الأمر فأرسلت الى جمالى باشا الذى أسندت اليه ادارة شئون بربرة وقتئذ تطالبه ببذل الجهود فى سبيل تأمين الطريق المذكورة وبضرورة العمل على قطع دابر الحوادث المعتادة فيها كالقتل والسلب والاستيلاء على قوافل التجارة · كما أصدرت نفس التعليمات بعد ذلك الى

رضوان باشا محافظ بربرة . وبطبيعة الحال قامت الادارة المصرية فى بلهار وبربرة بالضرب على أيدى الخارجين عن الأمن من قبائل « عيسى موسى » وأجبرتهم على الخضوع الى النظام والطاعة فلم يتعرضوا بعد ذلك لقوافل التجارة مما كفل للطريق الأمان والهدوء وبالتالى عادت التجارة بين البلدين الى رواجها وازدهارها .

والجدير بالذكر ان بربرة شهدت هى الاخرى نشاطا كشفيا مصريا قام به أحمد ممتاز باشا مدير عموم شرقى السودان ومحافظ سواحل البحر الأحمر حيث وفد اليها فى فبراير سنة ١٨٧١ وقام بجولة استطلاعية كشفية بها تأكد له خلالها أن ميناء البلدة يبلغ طوله حوالى ميل كما يقدر عرضه بنحو ميلين وأن المسافة بينها وبين عدن الموجودة بالجهة المقابلة لها تبلغ حوالى ١٥٠ ميلا فى خط عمودى ، كما أن عدد السكان القاطنين بها يصل الى نحو ٤٠٠٠ نسمة وان كان هذا العدد يتضاعف مرتين خلال موسم التجارة حيث كان يفد اليها تجار كثيرون من بلاد الهند واليمن وعدن وحضرموت ومسقط وزنجبار وهرر والحبشة وغيرها وكان طبيعيا أن تتوافر بالبلدة منتجات هذه البلاد كالأرز الهندى والأقمشة المتنوعة والخرز الملون فى

الوقت الذى كان يقوم فيه تجار بربرة بتصدير منتجاتهم من الجلود والصمغ والعاج وريش النعام والعسل والبن بالاضافة الى الأغنام والأبقار .

وفي يوليو سنة ١٨٧٣ وصل الى بربرة « رضوان بك » موفدا من قبل الحكومة المصرية للوقوف على أحوالها وقد حرص على اجراء استكشافات بالبلدة عرف من خلالها أن بربرة تقع على خط عرض ١٠° ٣٤ شمالا وعلى خط طول ٣٦ ٤٥° شرقا وأن مناخها معتدل يدفع على الاقامة بها ويوجد أمام ميناء بربرة لسان من الأرض يمتد فى الماء لمسافة طويلة مما يجعله فى مأمن من الرياح . وذكر ان مساكن الأهالى هناك معظمها عبارة عن توكولات مقامة بغير انتظام من القش وفروع الأشجار وباستعمال الطين ، شأن التوكولات الموجودة فى معظم البلدان الأفريقية الأخرى . وأوضح انه كان يوجد بالقرب من بربرة غابات واسعة كثيفة الأشجار خاصة أشجار « السنط » وكانت تعد هذه الغابات بمثابة مأوى لكثير من الحيوانات المفترسة . وقد لوحظ اتساع مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى بربرة بيد أن الأهالى هناك لا يهتمون بالزراعة بقدر اهتمامهم بالتجارة وتربية الماشية .

وفي زيارة كشفية أخرى لبربرة قام بها منزنجر أوضح أن سكان بربرة ضعاف البنية ويتسلحون عادة بالأسلحة المألوفة هناك كالمزاريق والنشاب والسيوف والخناجر ، وأوضح أن المياه الموجودة بها كانت تشوبها المرارة مما جعل الأهالى يمتنعون عنها ويفضلون لسد حاجاتهم من المياه التوجه الى المنطقة الجبلية القريبة من بربرة حيث توجد آبار «دوبار» التى تتميز بوفرة ما بها من المياه العذبة النقية وكانت تبعد هذه المنطقة عن بربرة مسافة ثمانية أميال كما انها ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ٣٠٠ قدم ومن ثم كان الأهالى يجدون صعوبة بالغة فى حصولهم على المياه منها • ولهذا فقد أشار منزنجر الى ضرورة امداد مواسير بين هذه المنطقة وبربرة حتى يمكن استجلاب المياه دون أدنى مشقة خاصة أن الأراضى الممتدة بينها كانت مسطحة • ولقد استطاعت الحكومة المصرية فيما بعد أن تحقق ما أشار به « منزنجر بك » حيث تم امداد المواسير اللازمة بين بربرة وآبار دوبار فى أغسطس سنة ١٨٧٦ • وهكذا كانت الحركة الكشفية فى بربرة وراء تحقيق هذا المشروع مما يوضح مواكبة الجهود الكشفية المصرية للنواحى العمرانية فى جهات أفريقيا المختلفة •

الفصل الثامن

الكشوف المصرية فى ساحل الصومال وشرق أفريقيا

ارتبطت الحركة الكشفية المصرية فى ساحل الصومال وشرق أفريقيا بأهداف مصر الخاصة بالقضاء على تجارة الرقيق وباحكام سيطرتها على منطقة هضبة البحيرات الاستوائية • فلما كانت الموانىء الأفريقية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن قد أصبحت بعد خضوعها للنفوذ المصرى غير صالحة لنشاط تجار الرقيق الذين كانوا يستعملونها فيما سبق لتهريب الرقيق عن طريقها الى خارج أفريقيا ، فقد لجأ هؤلاء الى موانىء هذا الساحل الصومالى لتصريف تجارتهم ، الأمر الذى شجع على انتشار هذه التجارة فى شرق أفريقيا • ومن ثم كان ضروريا بسط النفوذ المصرى على هذا الساحل•

وبالاضافة الى ذلك فقد كانت هناك رغبة قوية من جانب الخديو تقضى بفتح طريق تصل فيما بين هذا

الساحل وهضبة البحيرات الاستوائية تساعد من ناحية على ايصال أملاك مصر الواقعة في شرق أفريقيا بما لها من ممتلكات في جهات خط الاستواء .

وبدأت مصر في ارسال اولى الحملات الكشفية الى منطقة الساحل الصومالى وشرق أفريقيا فى سبتمبر سنة ١٨٧٥ حيث كلف الخديو الضابط الانجليزى ماكيلوب باشا Mckillop مدير مصلحة الموانى والمنارات المصرية بقيادة حملة عسكرية كشفية تذهب الى هذا الساحل . وبالفعل وصلت هذه الحملة فى ٤ أكتوبر ١٨٧٥ الى رأس جردفون (أوجردفوى) ورفع فوقها العلم المصرى اعلانا بوضع تلك الجهة تحت سلطة الحكومة المصرية . ثم وصلت الحملة بعد ذلك الى رأس حافون « وهناك أيضا رفع العلم المصرى بناء على طلب حاكم البلدة وكذلك شيوخ وأهالى البلدة الذين سرعان ماقدموا فروض الولاء والطاعة للحكومة المصرية . ثم توجهت الحملة الى بلدة « براوه » التابعة لسلطنة زنجبار وقد استقبل أمير البلدة رجال الحملة المصرية بحفاوة بالغة وقدم لهم كل مساعدة ممكنة ، كما قدم مشايخ البلدة وأهلها كتابا الى ماكيلوب باشا » يعلنون فيه ولاءهم للحكومة المصرية ويطلبون جعل بلادهم ضمن ملحقاتها حيث كانوا يتضررون من حكومة

السلطان « برغش » سلطان زنجبار الذى استولى على بلادهم عنوة منذ خمسة عشر عاما وكان هدفه الوحيد جباية العشور منهم دون أن يهتم بحمايتهم من اعدائهم المغيرين عليهم • وقد رفع ماكيلوب باشا الاعلام المصريه فى هذه البلدة كما ترك بها حامية عسكرية من افراد حملته • ثم لم يلبث أن غادرها متوجها الى مصب نهر جوبا فوصل اليه فى ٢٨ أكتوبر ١٨٧٥ وقد وجد ماكيلوب انه يتعذر انزال الجنود الى البر بسبب الرياح والأمواج الشديدة التى تتعرض لها منطقة المصب دائما ، فضلا عن عدم صلاحية المرسى هناك لرسو البواخر المصرية • ولكنه اضطر لانزال الجنود عند منطقة المصب ريثما تهدأ الأمواج قليلا ثم يستأنف ابحاره جنوبا بحثا عن مكان مناسب • وبطبيعة الحال شهد أفراد الحملة صعوبة بالغة أثناء نزولهم الى البر ، وقد أقاموا معسكرا يبعد عن شاطىء نهر جوبا بنحو ثمانية أميال تقريبا مكثوا به يومين فقط تمكن خلالهما رضوان باشا وعبد الرازق بك من أفراد الحملة من اجراء بعض الاستكشافات فى منطقة نهر جوبا •

فقد أوضح رضوان باشا أن نهر جوبا يشبه الى حد ما نهر النيل فى الاتساع وانه يصب مياهه فى المحيط الهندى بقوة مما يتسبب عنه حدوث أمواج شديدة عند

المصب وأشار الى أن الأراضى التى على يمين النهر ويساره تتميز بالخصوبة الجيدة وبالتالى تكون صالحة للزراعة وأوضح كذلك أن حوض نهر جوبا يتميز بكثرة ما يوجد به من غابات كثيفة الأشجار الضخمة مما كان يساعد على وفرة الاخشاب هناك · أما عبد الرازق بك فقد ذكر انه يقطن هذه المنطقة قليل من السكان يعمل معظمهم بالزراعة حيث يزرعون الموز والذرة وقصب السكر والملوخية بالاضافة الى الخضراوات المختلفة بينما لجأ بعضهم لاصطياد الأسماك من نهر جوبا والمحيط الهندى بهدف أكل لحومها واستخراج الزيوت من بطونها حيث ثبتت صلاحية استعمال هذه الزيوت فى اشعال المصابيح ، فضلا عن ذلك فقد أوضح أن كثيرا من حيوانات الجاموس البرى والحمار الوحشى والفيلة والأسود والنمور والنعام والقرود وغيرها من الحيوانات الأخرى · كانت تجوب دائما هذه المنطقة وتتخذ من غاباتها مأوى لها ·

على أية حال لم يمكث أفراد الحملة بمنطقة مصب نهر جوبا وقتا طويلا اذ استأنفوا ابحارهم جهة الجنوب فى ٣٠ أكتوبر فوصلوا فى اليوم نفسه الى بلدة قسمايو Kismeyu الواقعة على بعد خمسة عشر ميلا تقريبا جنوب مصب نهر جوبا · وقد رفع عليها ماكيلوب العلم

المصرى وأسماها « بورت اسماعيل » وطلب من رضوان باشا وعبد الرازق بك مواصلة استكشافاتهما بالبلدة بينما اعتزم هو اكتشاف مدى صلاحية نهر جوبا للملاحه النهرية . وبالفعل عاد الى منطقة المصب حيث ابحر منها ببعض المراكب الصغيرة يرافقه « شايى لونج » وحسن أفندى واصف وبعد ان قطعت المراكب مسافة مائة وخمسين ميلا تقريبا توقفت تماما عن الابحار وذلك لعدم صلاحية النهر للملاحة فيما بعد هذه المسافة حيث تشتد الرياح وتكثر الأمواج ويضيق المجرى وتزداد سرعة جريان الماء وعندئذ اضطر ماكيلوب ومرافقاه للعودة دون أن يواصلوا ابحارهم فى النهر . والجدير بالملاحظة أن حسن أفندى واصف كان قد رسم خريطة لمجرى هذا النهر طوال المسافة التى قطعها مع «ماكيلوب باشا وشايى لونج » .

أما الاستكشافات التى توصل اليها رضوان باشا وعبد الرازق بك فى بلدة « بورت اسماعيل » فقد وردت تفاصيلها فى التقارير والمراسلات التى بعثا بها الى الخديو . ففى التقرير الذى أرسله رضوان باشا الى الخديو فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥ يتضح أن بلدة بورت اسماعيل تعتبر من الموانىء الجيدة الصالحة لرسو السفن بها حتى فى أوقات اشتداد الرياح وتتميز

البلدة بكثرة مساكنها المقامة من الأخشاب واوراق جوز الهند الذى كان يجلبه الأهالى من بلدة « لامو » الواقعة جنوب بورت اسماعيل . والبلدة تعد مركزا تجاريا مهما فى شرق افريقيا ففضلا عن كونها سوقا رئيسية لتجارة الرقيق فانها تعد أيضا سوقا عامرة بمختلف البضائع الواردة اليها من جهات متعددة اذ كان يفد اليها تجار عديدون من بلاد الهند ومسقط واليمن وزنجبار ، ويحضرون معهم بضائعهم من الأرز والبصل وقصب السكر والتمر والذرة ، كما كان يرد اليها من داخل القارة العاج والصمغ وريش النعام والسمن والأغنام . هذا وقد شوهدت الأبقار والحمير وهى تحمل بضائع التجار حيث كان الأهالى يستخدمونها فى تنقلاتهم وأسفارهم للمناطق المجاورة وذلك لعدم معرفتهم بالابل وقتئذ . وأشار رضوان باشا فى تقريره الى عدم توافر المياه العذبة ببورت اسماعيل مما جعل التجار والأهالى يعانون المتاعب ويتعرضون للأمراض المختلفة بسبب اعتمادهم على المياه المالحة المستخرجة من الآبار القريبة للبلدة .

ومن جهة أخرى فقد أوضح عبد الرازق بك فى مراسلاته للخديو أن البلدة صغيرة نسبيا فى مساحتها ومع ذلك فان جزءا كبيرا من هذه المساحة تشغله غابات

بالأشجار الضخمة • وقد قدر تعداد سـكانها بنحو ألف وخمسمائة نسمة • وأضـاف أن معظـم أراضى البلدة رمليـة وتكاد تخلـو منهـا الـزراعة حيث لاحظ أن الأهالى هناك لا يهتمون بالزراعة بقدر اهتمامهم بأمور التجارة التى كانت الحرفة الرئيسية لدى الكثيرين منهم • وأشار الى أن المعاملات التجـارية هنـاك كانت تتم عن طريق المبادلة او المقايضة كما هو حال المعاملات التجارية الأخرى المعهـودة فى كثير من بلدان أفريقيـا فى ذلك الوقت حيث كانت العملات النقدية غير متوافرة بعد • كذلك أوضح عبد الرازق بك أن كثيرا من أهالى بورت اسماعيل يعملون فى استخراج اللؤلؤ الموجود بكثرة على أعماق بسيطة بالقرب من شواطىء البلدة •

وفى ٦ ديسمبر سنة ١٨٧٥ بعث عبد الرازق بك الى الخـديو تقريرا يتضمن النتـائج الكشـفية التى توصل اليها ماكيلوب فى رحلته الكشفية لجهات «لامو» «فرموزه» والمناطق المجاورة لهما ، ولعل أهم ما أوضحه عبد الرازق بك فى تقريره أن أهالى هذه المناطق كانوا يطلبون الدخول فى طاعة الحكومة المصرية حيث انهـم يرغبون فى انهاء تبعيتهم الاسمية لسلطان زنجبار الذى لم يهتم بحمايتهم من اعتداء القبائل عليهم ، وكان هدفه جباية العشور فقط • وورد بالتقرير أن شيوخ وأمراء

المناطق القريبة من لامو وفرموزه ـ كمنطقة جبال ماركة وجزيرة هنزوان وجزيرة جوهنة وجزيرة « فومور » « وجزيرة مهله » وبندر ميناص . كانوا قد حضروا لمقابلة مائيكوب وعرضوا عليه رغبتهم الأكيدة في الخضوع للحكومة المصرية . وقد أشار عبد الرازق بك في خطاب لاحق بعث به الى الخديو فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٥ ، الى الموقع الجغرافى لبعض هذه الجزر فأوضح أن جزيرة « جوهنه » تقع على خط عرض ٨' ٢٢° جنوب خط الاستواء وعلى خط طول ٢٢" ـ ٤٤ شرق خط جرينتش وجزيرة مهلة تقع على خط عرض ٢٠ ١٢° جنوبا وعلى خط طول ٤٢" ٤٣° شرقا بينما تقع جزيرة قومور الكبرى على خط عرض ٥٠' ١١° جنوبا وعلى خط طول ٣٠' ٤٣° شرقا . وأوضح كذلك أن بندر ميناص كان يعد مرسى جيدا صالحا لرسو السفن به .

ومن ناحية أخرى فقد أضاف عبد الرازق بك فى تقريره أن معظم أراضى « لامو وفرموزة » وكذلك أراضي الجزر القريبة منها كانت ـ حسب استكشافات ماكيلوب باشا صالحة للزراعة حيث أن تربتها جيدة وتتوافر بها مياه الرى . ولوحظ اقبال الأهالى على زراعة الموز والذرة وقصب السكر وجوز الهند وبعض

الخضراوات ، كما لوحظ اهتمام الكثيرين منهم بالتجارة وبصيد الأسماك والحيوانات . وثمة ظاهرة واضحة كان يشترك فيها اهالى هذه المناطق رجالا ونساء وتتمثل في تجردهم من الملابس الكاملة اذ كانوا لا يرتدون سوى الملابس التى تغطى الاجزاء السفلى من اجسامهم بينما تبقى صدورهم وبطونهم عارية تماما ، ولهذا فان الكثيرين منهم كانوا يصابون بامراض مختلفة خاصه مرض الصدر . وقد اوضح عبد الرازق بك فى نهاية تقريره أن بلدة « قمبسة » كانت تقع على بعد ثلاثين ميلا تقريبا جنوب فرموزة وقد سمع من الاهالى عن وجود عدة مناجم للفحم الحجرى والنحاس فى غرب البلدة ، كذلك كانت اراضيها تتميز بالخصوبة مما يجعلها صالحة للزراعة كما أن مياه الرى بها متوافرة وقد أراد «ماكيلوب» الوصول اليها واجراء استكشافات بها بيد أنه تلقى تعليمات من الخديو ترفض ذلك بل تلقى «ماكيلوب» ما هو أكثر خطورة حيث أمره الخديو بضرورة انسحاب الحملة المصرية من جميع الجهات التى وصلت اليها على الساحل الصومالى عدا جهة رأس حافون وكان السبب فى هذا يعود بالطبع الى موقف الحكومة الانجليزية المادى للتوسع المصرى فى جهات ساحل الصومال الجنوبى والمتمشى فى اطار سياستها الاستعمارية الرامية الى تدعيم نفوذها فى جهات شرق

أفريقيا للتوغل منها الى المناطق الواقعة بداخل القارة فتستعمرها وتسيطر على موارد ثرواتها الطبيعية . وبالتالى فهى لم تنظر بعين الارتياح الى تقدم الحملة المصرية على الساحل الصومالى ورفع الاعلام المصرية فى جهات هذا الساحل .

على آية حال عادت حملة ماكيلوب الى القاهرة فى أوائل فبراير سنة ١٨٧٦ دون أن تحقق مشروعها الحيوى الخاص بايصال ساحل الصومال بهضبة البحيرات الاستوائية وعلى الرغم من هذا فان هذه الحملة قد نجحت فى المجال الكشفى حيث لمسنا الجوانب الكشفية التى توصل اليها بعض رجالها أمثال : رضوان باشا وعبد الرازق بك وماكيلوب باشا فى الجهات التى وصلوا اليها .

واذا كان نشاط مصر الكشفى قد امتد الى جهات ساحل الصومال فان جهات أخرى تقع بشرق أفريقيا كانت قد شهدت نشاطا مماثلا كالبلاد الواقعة بمنطقة السودان الشرقى وكذلك بلاد العيسى والنولى وهرر وأوسه والجاديبورس . ففيما يتعلق ببلدان منطقة السودان الشرقى فان الفضل فى استكشافها يرجع الى منزنجر باشا الذى عينته الحكومة المصرية فى ابريل

سنة ۱۸۷۳ كمحافظ عام لمحافظتي سواكن ومصوع فقد رأى « منزنجر » ضرورة افتتاح اقليم « بوغوص » المعروف في اللغة الحبشية باسم « سنهيت » والذى يقع بين التاكه ومصوع حيث ثبت لديه أن هذا الاقليم كان يعد من الأسواق الرئيسية الخاصة بتجارة الرقيق في السودان الشرقى • ومن ثم طلب « منزنجر » من الخديو أن يسمح له باخضاع هذا الاقليم للنفوذ المصرى وحينما وافق الخديو على هذا توجه « منزنجر » على الفور من مصوع فى يونيو سنة ۱۸۷۲ على رأس قوة عسكرية بلغ قوامها حوالى ۱۵۰۰ جندى وعند وصوله الى بلدة كيرن Keren عاصمة الاقليم تمكن من احتلالها دون مقاومة ، ثم لم يلبث أن استولى على البلدان الأخرى المجاورة لها كأميديب وبركة ودوكة وراشد ، كما استطاع أن يضم الى أملاك مصر اقليم ايليت Ailet الواقع بين مصوع ومنطقة الحماسين • غير أن احتلال مصر لهذه المناطق كان قد أدخلها فى صراع طويل مع مملكة الحبشة التى كانت تعتبر هذه المناطق ضمن أملاكها • على كل أجرى « منزنجر » بعض الاستكشافات بهذه المناطق فثبت له انه يوجد بها مساحات شاسعة من الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة ، كما يتوافر بها مياه الرى ، وعلى الرغم من هذا فان مساحات صغيرة جدا من هذه الأراضى هى التى تزرع بالمحصولات المختلفة

كالذرة والسمسم وانواع الخضراوات بينما تبقى بقية الاراضي دون زراعه وذلك لان الاهالى هناك لا يهتمون بالزراعة بقدر اهتمامهم بالرعي وتربيه الماشيه والابل فكان يكثر وجود المراعي الطبيعيه بهذه الجهات حيث تنمو الحشائش والاعشاب ، كما كان يكثر بها وجـود الحيوانات ذات الاشكال المختلفه • كذلك اوضح منز نجر أن أهالي هذه الجهات سواء الرجال او النسـاء كانـوا يعتنون دائمـا بمظهرهم ويهتمـون بنظافه ملابسـهم البسيطة التي هي عبارة عن قطعة من القماش أو الجلد كانوا يلفونها حول أجسادهم • كما لوحظ انهم يميلون الى التزين خاصة بعد الانتهاء من أعمالهم اليومية فعادة ماكانوا يزينون أعناقهم وأعلى أذرعتهم بالخرز والأسلاك الملونة كما كانوا يعلقـون بآذانهـم وانوفهم الاقراط الكبيرة المصنوعة من النحاس والحـديد فضلا عن ذلك فكانوا يدهنون شعورهم بالدهون المسـتخرجة من الابل والماشية ويزينونها بأوراق الأشـجار وريش الطيـور والنعام ، كما كانوا يطلقون شعورهم حتى تبلغ الطول النهائي دون أن يقـوموا بقصـها لاعتقادهم بأن قص الشعر يسبب اصابة العيون بالأمراض كما يضعف من قوة الابصار • وأضاف منزنجر أن أهالى هذه الجهـات يتميزون بقوة وصلابة أجسامهم على الرغم من نحالتها وأن المرأة هناك تعد من أجمل نساء أفريقيا حيث القوام

المشوق والملامح الجذابة . ولعل هذا ما دفع «منزنجر» الى أن يتزوج باحدى السيدات من أهالى اقليم بوغوص .

أما الاستكشافات المصرية التي تمت في بلاد العيس والنولى وهرر واوسه والجاديبورس فالواقع انها ارتبطت بالفتح المصرى لسلطنة هرر سنة ١٨٧٥ ففى سبتمبر سنة ١٨٧٥ كلف الخديو محمد رؤوف باشا مأمور زيلع بالتوجه على رأس حملة عسكرية لفتح هرر استجابة لمطالب أهلها وأهالى المناطق المحيطة بها الذين كانوا يتضررون من نفوذ الحكام والامراء ومن عدم الاستقرار بسبب اعتداء القبائل المجاورة عليهم او بسبب هجوم الأحباش المتكرر عليهم لأسباب مختلفة أهمها الاختلاف الديني حيث كانت سلطنة هرر تدين بالدين الاسلامى .

واستجاب محمد رؤوف لأمر الخديو وخرج على رأس حملة عسكرية مؤلفة من خمس فرق مشاه ونحو ٢٣٦ جنديا باشيوزق (غير نظامى) مزودين بالأسلحة والمؤن والذخيرة الكافية ورافق الحملة عدد من ضباط هيئة أركان حرب الجيش المصرى منهم محمد أفندى مختار وعبد الله أفندى فوزى وحسن أفندى حلمى وعلى أفندى منصور وسليم أفندى صليب ورجب أفندى سرى

ومحمد فندى عاكف ٠٠ وغيرهم ٠ وقد سلكت الحملة طريقا وصفها رءوف باشا بانها قصيرة المسافة قليلة التعاريج ، يوجد على جانبيها عدة قرى صغيرة المساحة تتميز بكثرة ما بها من آبار مائية عذبة وهى تعد بمثابة محطات يمكن للقوافل المسافرة خلال الطريق أن تمكث بها بعض الوقت طلبا للراحة وللحصول على المياه والمؤن اللازمة ٠ وكانت هذه القرى أو المحطات تقع بعد ١٢ ميلا تقريبا من زيلع وهى محطات نخشا وأوجاجرد وولع ولع وداوداب ودرب عسا وهنا أبو بكر على وعلان برر وميركوهلى وجحجحا وعرمالى مجن وكوته وبوصة وجلديسة ٠

والواقع أن هذه القرى أو المحطات ابتداء من محطة نخشا وحتى محطة جلديسة هى مايطلق عليها اسم أراضى العيسى نسبة الى قبيلة أولاد عيسى الصومالية التى تسكن هذه الأراضى منذ زمن بعيد ٠ والجدير بالذكر أن شيخ مشايخ عربان عيسى كان قد تقابل مع رؤوف باشا فى قرية هنسا وعرض عليه دخول أراضيه تحت السيادة المصرية فرحب رءوف باشا بذلك ومن ثم رفعت الاعلام المصرية فى أنحاء مختلفة من هذه القرى ٠ وقد قدر رءوف باشا عدد سكان هذه القرى بنحو ١٣٠ر٠٠٠ نسمة وأشار الى أن القوافل المسافرة يمكن لها أن تسلك

مسافة ١١٥ ميلا تقريبا بعد مغادرة زيلع وحتى قرية «ابو بكر على» دون عناء حيث ان الارض سهله والطريق متسعة وتنتشر على جانبها اشجار السنط والصبار اما فيما بعد هذه القرية وحتى قريه جلديسه فان القوافل تجد صعوبة بالغه في المرور لان الارض هناك جبليه والطريق وعرة ضيقة الممرات والمسالك وكانت اراضى هذه القرى بما فيها الأراضى الجبليــة صالحة للزراعة بيد أن رؤوف باشا لاحظ عدم اهتمام الاهالى هنـــاك بالزراعة ، مما أدى الى ترك مساحات شاسعة من هـذه الأراضى بورا • أما المساحات الصـغيرة المنزرعة فغالبا ما كانت تزرع بالذرة والشعير •

ومن جهة أخرى فقد أوضح محمــد مختار باشـا وعبدالله أفندى فوزى أن أهالى العيسى يتميزون بكثرة الكلام والجدل والمناقشة وعلى الرغم من تمسكهم بالدين الاسلامى فانهم ينهجون فى حياتهم أسلوبا يتنافى مـع تعاليم الاسلام كميلهم للكذب والطمع والجشع ورغبتهم الدائمة فى السرقة والقيام بأعمال السلب والنهب وقطع الطريق ، فضلا عن حبهم الشديد للكسل وعدم العمل • وذكر الضابطان أن أهالى العيسى يقيمون فى أكــواخ صغيرة المساحة مقامة من القش وفروع الأشجار بينما أكواخ كبار الشيوخ كانت عادة متسعة ومبنية من الطوب أو الحجارة ، بيد أنه كان يخصص دائما سواء فى أكواخ

الأهالى أو الشيوخ مكان مناسب لتربية الابل والماشية التى كانت تحظى باهتمام جميع أهالى العيسى • والمرأة من آهالى العيسى كانت لها مكانة مهمة فى المجتمع فكان الرجل يعتمد عليها فى زراعة بعض المحاصيل وفى صنع الخبز وفى رعى الماشية والقيام بحلبها وكذلك احضار الماء وجمع الوقود بالاضافة الى اعمالها المنزلية المعتادة كاعداد الطعام ونظافة المنزل وتربية الأولاد • اما الرجل فكان يتكاسل عن القيام بمثل هذه الأعباء وغالبا ما يقضى وقته فى مضغ التونباك والصمغ والجلوس فى المساء بجوار نار الموقد للمسامرة وشرب الجعة المصنوعة من الذرة •

هذا وقد تركت الحملة المصرية بلدة جلديسة — التى كانت تعد آخر حدود بلاد العيسى — فى ٥ أكتوبر سنة ١٨٧٥ لتواصل سيرها الى هرر بيد انها مرت قبل أن تصل الى هرر ببلاد النولى وعندها استأنف رؤوف باشا وكل من مختار باشا وعبد الله فوزى نشاطهم الكشفى بهذه الجهات • فقد أوضح رؤوف باشا أن بلاد النولى تنسب الى قبيلة النولى احدى قبائل الجالا المحيطة بمدينة هرر وهى تتكون من سبع قرى صغيرة هى جرجرة والشيخ شاربى وبالارا وافتوح وايجو وسيبو

وسكورجه . ويذكر رؤوف باشا ان الحملة المصرية وجدت ترحيبا كبيرا من اهالي هذه القرى باستثناء اهالى قريتى « افتوح وايجو » الذين حاربوا الحملة المصرية فى بادىء الامر ثم لم يلبثوا بعد هزيمتهم امام الحمله ان قدموا فروض الولاء والطاعة للحكومة المصرية ومن ثم فقد رفعت الاعلام المصرية في هذه القرى ايذانا بانضواتها تحت السيادة المصرية . واشار رؤوف باشا الى ان اهالى هذه القرى من قبيلة النـولى يتميزون بقـوة بنيـانهم وصحة اجسامهم وبالتالى فهم قوم أشـداء يميلون دائما الى الحروب والقتال كما انهم شأنهم فى ذلك شأن بقية أفراد قبائل الجالا الأخـرى يكونون عصـابات للسرقة والسـطو وقطـع الطريق وغالبا ما كانت توجه هـذه العصابات نشاطها الى قوافل التجارة سواء القادمة الى هرر أو الخارجة منها .

أما مختار باشا وعبد الله فوزى فقد أشارا الى أن أراضى النـولى جبليـة تتميز بصـلاحيتها للزراعة اذ شوهدت بها مساحات مزروعة بالذرة والحنطة والشعير والقطن والبصل والثوم ويرجع السـبب فى صلاحيـة الأراضى للزراعة الى غزارة سقوط الأمطار هناك فضلا عن أن تربة هذه الأراضى كانت تتكون فى معظمهـا من طبقات رملية وآخـرى طينيـة تناسب الزراعة . والى

جانب هذه المساحات المنزرعة بالمحاصيل المختلفة كانت توجد هناك المراعى الطبيعية التى تنمو بها الحشائش والأعشاب مما ساعد افراد النولى على الاهتمام بتربية الماشية • وأوضح الضابطان ان ملابس أفراد النولى كانت لا تتعدى قطعة من القماش الخشن يلفها الرجل حول جسمه على أن يكون بها حزام من الجلد يعلق به بعض الاحجبة والسكاكين وهم دائما عراة الرؤوس حفاة الأقدام • أما نساؤهم فكن لا يغطين من أجسامهن سوى النصف الأسفل وذلك بقطعة من الجلد أما النصف الأعلى فيبقى عاريا وكانت تعرف المرأة المتزوجة هناك بتغطية رأسها بقطعة من القماش الأسود بينما المرأة غير المتزوجة تكون عارية الرأس •

على أية حال فى ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ دخلت الحملة المصرية مدينة هرر فى صحبة أمير هرر محمد بن عبد الشكور ووسط ترحيب الأهالى الكبير بدخولهم فى طاعة مصر ، وقد أجرى بها الضابطان محمد مختار باشا وعبد الله أفندى فوزى بعض الاستكشافات فثبت لهما أن مدينة هرر تقع على خط عرض ٤٨ ٢٢ ٩° شمالا وعلى خط طول ١٥ ٢٠ ٤٢° شرقا وانها ترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ٥٦ قدما وان مساحتها تقدر بحوالى ٤٨١ر٨١٢ مترا مربعا تقريبا وهى محاطة من

جميع جهاتها بسور يتراوح ارتفاعه فيما بين ثلاثة وأربعة أمتار وبه اربعة وعشرون برجا وقد بني هذا السور من الأحجار الصخرية المستخرجة من الجبال القريبة المجاورة لهرر • واضاف انضابطان ان المدينة بوجه عام غير منتظمة الشكل فشوارعها ضيقة ومتعرجة وملبئة بأكوام التراب والحجارة وحاراتها غير مستوية بسبب ارتفاع بعض الأماكن بها عن الأخرى بنحو ٢٥ مترا • وذكر أن أهالى هرر البالغ عددهم نحو ٣٥ر٠٠٠ نسمة كانوا يتكلمون اللغة العربية ويتمسكون بالدين الاسلامي طبقا للمذهب الشافعي • وعرف عنهم بأنهم لا يميلون الى الأشغال اليدوية ويفضلون عليها أعمال التجارة والزراعة ، فكانت التجارة عندهم من أهم موارد الرزق وذلك لما اشتهرت به هرر كسوق تجارية مهمة فى شرق أفريقيا • وكانت تجارة الرقيق أهم تجارة تشتهر بها هرر ، ولعل الشهرة التى اكتسبتها من تجارة الرقيق كانت من الأسباب الرئيسية التى دفعت الحكومة المصرية لأن ترسل حملة عسكرية تخضع هذه الجهة تحت سيطرتها وتعمل بقدر الامكان على مناهضة تجارة الرقيق بها •

أما فيما يتعلق بالزراعة فقد أوضح مختار باشا وعبد الله فوزى أن أراضى هرر كانت تتميز بأنها طينية

حمراء تشبه الغرين الذى يحمله نهر النيل مع فيضانه إلى مصر ، وبالتالى فهي خصبة صالحة للزراعة بيد انه لوحظ أن أكثر من نصف اراضي المدينة كان متروكا بغير زراعة ويرجع هذا الى ان اهالي هرر كانوا قد أهملوا امر الزراعة بسبب احتكار الأمراء زراعة بعض المحاصيل المهمة المدرة للربح كالبن وتحريمهم على الاهالي زراعتها • فضلا عن عدم توافر المياه اللازمة لرى الأراضى ولكن على الرغم من ذلك فقد شوهدت بالمدينة مساحات واسعة من الأراضى مزروعة بالحنطة والذرة العويجة والعدس والفول واللوبيا والبطاطس وقصب السكر والبصل والثوم والحلبة والقطن والسمسم والشعير والقرع والخشخاش ، كما شوهدت مساحات أخرى مزروعة بالفواكه منها الموز والليمون والنارنج والسفرجل والخوخ والرمان والعنب ، فضلا عن ذلك كان الأهالى يقبلون على زراعة نبات مخدر يسمى لديهم باسم « القات » وكانوا يستخدمونه حسب اعتقادهم لتقوية البنية وتسهيل الهضم وكعلاج للعديد من الأمراض المختلفة •

على كل يمكننا القول بأن الادارة المصرية فى هرر كانت قد أخذت على عاتقها مهمة ترغيب الأهالى فى الزراعة وعدم ترك الأراضى الصالحة للزراعة بورا

وأعلنت من جانبها بان مباح بجميع الأهالى زراعة البن وكافة المحاصيل التى كانت محرمة عليهم زراعتها من قبل دون أية معارضة أو ممانعة • وطالبت الأهالى بالاقبال على زراعة البن لجودة زراعته هناك • حيث ثبت أن البن الهررى يفوق في جودته البن اليمني •

ومن جهة آخرى فقد أوضح الضابطان أن الصناعة في هرر كانت قليلة الانتشار فلم يقبل الأهالى عليها لانصرافهم الى الاشتغال بالتجارة والزراعة وكانت اهم الصناعات الموجودة هناك صناعة الأوانى الفخارية وقرب المياه والحصر والملاعق الخشبية بالاضافة الى صناعة الاقمشة القطنية التى كانت تنسج بالأيدى •

أما ملابس أهل هرر فكانت بسيطة حيث كان الرجال يرتدون زيا عبارة عن جلباب من النسيج الهررى يلفونه حول أجسامهم بينما كان أثرياؤهم وأبناء الأمراء يرتدون ثوبا من القماش الأبيض على شكل قميص، وكلما كان القميص كبيرا كان صاحبه ذا منزلة ومكانة رفيعة بين قومه تماما مثلما كانوا يفعلونه عند جلوسهم فى أى مكان اذ كانوا يغطون أفواههم بأطراف أثوابهم كعلامة منهم على أنهم من كبار رجال المدينة • أما النساء الهرريات فكن عادة يرتدين زيا عبارة عن قميص أسود

اللون به حزام من البفتة البيضاء وكن حافيات الاقدام ماعدا نساء الامير اللاتي كن يلبسن النعال عند خروجهن من البيت فقط • وكانت المرأة المتزوجة تغطي رأسها بقطعة رفيعة من القماش الاسود فارقة شعرها من الخلف على هيئة ضفيرتين تكوم كل منهما خلف الأذن على شكل كرة • أما الفتاة غير المتزوجة فكانت دائما عارية الرأس • وقد لوحظ أن المرأة هناك سواء المتزوجة أو غير المتزوجة كانت من عاداتها أن تدهن رأسها وجسمها بالسمن والشحم كوسيلة للتزين وكانت لا تتخلى عن هذه العادة مدة سبعة شهور بعدها تمكث في بيتها مدة سبعة أيام أخرى ثم تواصل بعد انقضائها دهن شعرها وجسمها بالسمن والشحم • وكانت للمرأة الهررية الكلمة المسموعة على زوجها فاذا أمرته بشيء كان عليه أن ينفذه في الحال •

وتجدر الاشارة الى أن الضابطين محمد مختار وعبد الله فوزى كانا قد تمكنا من رسم خريطة لمدينة هرر أوضحا فيها موقف المدينة وقبائل الجالا المحيطة بها كقبائل « برسوب » « وبرترى » وبابيلى « وجارسى » « وأتيو جرجر » •• وغيرها كما أظهرا فيها أراضى قبائل العيسى والنولى •

على آية حال لم تبق من مناطق شرق افريقيا التي أجريت بها استكشافات مصرية خلال عهد الخديو اسماعيل سوى منطقتي « أوسة » وبلاد «انجاديبورسى»

أما منطقة « أوسة » فقد ارتبطت الاستكشافات المصرية بها بحملة منزنجر باشا مدير عموم شرقي السودان ومحافظ سواحل البحر الاحمر التي جردتها الحكومة المصرية للهجوم على جنوب الحبشة في اكتوبر سنة ١٨٧٥ نتيجة لأسباب سياسية سوف نوضحها في الفصل اللاحق • فقد قامت هذه الحملة باستكشافات خلال الطريق البرية التي سلكتها للوصول الى الحبشة من تاجورة الى أوسة • فقد ذكر محمد أفندى عزت أحد ضباط الحملة أن الطريق الواصلة بين تاجورة وأوسة تمتد لمسافة أربعين ميلا تقريبا في الاتجاه الغربي وهي طريق وعرة ضيقة المسالك يتعذر على الجمال أن تسير فيها لكثرة ما يوجد بها من أشجار وأحجار تتراكم فوق بعضها مما يحول دون سهولة المرور فيها ، كما يوجد على امتداد الطريق عدد من الأودية كوادى « برسان » و « جلتستان » و « وعلول » و « مترس » ، بالاضافة الى عدة أخوار وعيون مائية كانت تتجمع فيها مياه الأمطار التي تتساقط في هذه الجهات بغزارة شديدة وكانت تنمو الحشائش والأعشاب ، الطويلة بجوار

هذه الأودية والأخوار والعيون المائية مما جعل هذه المناطق تعد بمثابة مراع طبيعية كان يستغلها كثير من أهالى اوسة في تربية الماشية والابل • اما بلدة أوسة فكانت صغيرة المساحة يقطنها حوالى خمسة الاف نسمة يدينون بالاسلام يتولى زعامتهم أمير يكون عادة من أكبر مشايخ البلدة جاها • وأهالى أوسه يعيشون حياة بدوية فيهتمون بتربية الماشية والابل ولا يزرعون سوى الذرة والتمر ، وكان يشرف على البلدة جبل كبير يسمى جبل « أوسة » يبلغ ارتفاعه حوالى ستمائة متر تقريبا كما كان يوجد بالقرب منها بحيرة تعرف أيضا ببحيرة « أوسة » كان يصب فيها نهر صغير يسمى « حواش » • وكان أهالى أوسة يعتمدون على هذه البحيرة فى الحصول على حاجاتهم من مياه الشرب لعذوبة مياهها •

أما الاستكشافات المصرية في بلاد الجاديبورسى فقد ارتبطت بجهود الضابط المصرى محمد مختار باشا حيث كلفه الخديو بالذهاب على رأس حملة عسكرية الى بلاد الجاديبوسى لاخضاعها للسيادة المصرية بناء على رغبة شيخها المدعو نور بن دويلى ، وكذلك رغبة الأهالى هناك ، وقد غادر محمد مختار باشا « زيلع » على رأس حملته فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٧٧ يرافقه الشيخ « نورين دويلى » لكى يرشد الحملة لاتباع أقصر الطرق

الصحراوية الموصلة الى بلاده . وقد سلكت الحملة طريقا تمتد في الاتجاه الجنوبي الشرقي من زيلع وتتصف بكثرة تعرجاتها وعدم استواء سطحها وضيق مسالكها وممراتها لارتفاع بعض أماكنها عن الأخرى وتراكم كميات كبيرة بها من الصخور الحجرية ذات الألوان والأشكال المختلفة ، الأمر الذى يؤدى الى صعوبة المرور خلالها وهو ما كان يعاني منه أفراد الحملة المصرية ، كما كان يوجد على جانبي الطريق سلاسل من الجبال يتراوح ارتفاعها فيما بين ستمائة قدم وثلاثة آلاف قدم ، كما شوهدت بجوارها عدة غابات كثيفة بأشجار السنط والنبق والأشجار التى يستخرج منها المطاط .

وكانت هذه الغابات بمثابة مأوى للعديد من حيوانات الفيلة والأسود والنمور والنعام وغيرها من الحيوانات المختلفة . وأضاف مختار باشا انه شاهد بالقرب من الطريق عدة أخوار مائية تتجمع فيها مياه الأمطار ، وكان يحدث عند سقوط الأمطار بغزارة أن تتحول هذه الأخوار الى أنهار مائية صغيرة كانت تخترق بمجراها المائى الصحراء المجاورة حيث تصب مياهها بها أو أن تواصل مجراها الى أن تصب فى المحيط الهندى . وكانت من أشهر هذه الأنهار نهر « وارابود

Warabod ونهر جرزا Guirza » والى جانب هـــذه الأخوار وجدت كذلك عيون مائية كثيرة بالقرب من بلاد الجاديبورسى • وقد لعبت هذه العيون المائية دورا مهما فى تزويد أهالى هذه البلاد بما يحتاجون اليه من ميـــاه الشرب أثناء موسم الجفاف • وقد شوهدت أيضا بجوار هذه الأخـــوار والعيون المائيـــة حيث تنمو الحشـــائش والأعشــــاب الطـــويلة ـــ أكـــواخ من القش وفروع الأشجار ، كان يقيم بها بعض الأفراد من عشائر قبيلة « الجاديبورسى » الذى كانوا يهتمون بتربيـــة الماشـــية والابل ويفضلون من أجل ذلك الترحال من مكان لآخر بحثا عن مناطق يرعون فيها ماشيتهم وابلهم •

عـــلى أية حال وصـــلت الحملة المصرية الى بـــلاد الجاديبورسى واستقبلت بحفاوة كبيرة من قبـــل الأهالى هناك ورحبـــوا برفع الأعلام المصرية فى بلادهم وقد واصل مختار باشا نشاطه الكشفى بها فذكر أن اســـم هذه البلاد ينسب الى قبيلة الجاديبورسى الصومالية التى كانت تسكن هذه البلاد منذ زمن بعيد وأوضح أن بلاد الجاديبورسى كانت تشـــغل مســـاحة كبيرة من الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة بيـــد أن أهالى الجاديبورسى كانوا لا يهتمـــون بالزراعة اهتماما كبيرا حيث كانـــوا يفضلون عليها الرعى وتربية الماشية والابل وكان رجال

قبيلة الجاديبورسي يتميزون ببشرتهم ذات اللون الأسود النحاسي ، كما يتميزون بطول القامة وقوة البنيان وبالجبهة العريضة والعيون الكبيرة والشفاه الغليظة والشعر المجعد • اما المرأة هناك فكانت لديها مسحة من الجمال فهي ممشوقة القوام جذابة الملامح ذات اسنان بيضاء لامعة وكانت تعتني بنظافة ملابسها التى هى عبارة عن قطعتين من القماش الأبيض تغطي باحداهما نصفها الاسفل وتغطي بالاخرى النصف العلوى ، كما كانت تضع على رأسها دائما قطعة من القماش الاسود بيد أنها كانت حافية الاقدام لا تميل الى التزين وتقضي طوال ساعات اليوم في الأعمال المنزلية • وقد نوحظ أن مساكن الأهالى عبارة عن أكواخ خشبية تتكون من عدد من الحجرات المسقوفة بفروع الأشجار وأوراقها وعادة ما كان يحرص الأهالى على تخصيص حجرة من حجرات الكوخ لتربية الماشية والابل وكان أثاث هذا المسكن بسيطا اذ لا يتعدى بعض الجلود المستخدمة كأسرة للنوم وبعض الأوانى الخشبية التى تستخدم لحفظ اللبن والماء ، أما أكواخ شيوخ القبيلة فكانت تتميز عن أكواخ الأهالى باتساع حجراتها وبما تحتويه من آثاث غالبا يشترى من زيلع كالحصر الملونة والاوانى والأقداح الفخارية • كذلك نوحظ أن غذاء الأهالى كان لا يخرج عن الخبز المصنوع من الذرة واللبن ولحوم

الماعز والضأن كما لوحظ انهم يميلون الى التدخين وشرب « البوظة » المصنوعة أيضا من الخبز . واوضح كذلك محمد مختار باشا أن أهالى هذه البلاد كانت لديهم بعض العادات الموروثة عن أسلافهم كعادة تعدد الزوجات ، فالرجل هناك كان يتزوج بأكثر من امرأة هادفا بذلك كسب أكبر عدد من الأصدقاء والأصهار ، فضلا عن رغبته فى كثرة عدد أولاده حيث الاعتقاد السائد لدى الأهالى هناك انه بقدر ما يكون لدى الرجل عدد من الأولاد بقدر ما تكون منزلته ومكانته بين قومه . وأوضح كذلك انه على الرغم من أن أهالى الجاديبورس يدينون بالاسلام فانهم كانوا يجهلون أمور الشريعة الاسلامية والسنة المحمدية ويعتقدون فى أمور تخالف تعاليم الاسلام كذهاب النساء العقيمات الى القبور لقضاء ليلة بها طلبا للانجاب أو كاعتقاد الأهالى فى امور السحر والشعوذة وحرصهم على الذهاب الى السحرة والمشعوذين لاستجلاب السعد والرزق عن طريقهم ولاستطلاع رأيهم قبل الخروج فى حرب أو قتال أو لشفائهم من الأمراض المختلفة وكذلك شفاء ماشيتهم وابلهم اذا ما أصيبت هى الأخرى بالأمراض .

والجدير بالذكر أن استكشافات مختار باشا ببلاد الجاديبورسى كانت تعتبر آخر استكشافات مصرية تمت

فى مناطق شرق أفريقيا فى ذلك الوقت اذ لم تشهد هذه المناطق استكشافات مصرية أخرى بسبب موقف الحكومة الانجليزية المعادى للتوسع المصرى فى هذه المناطق ، كما سوف نشير اليه فى الفصل اللاحق ·

الفصل التاسع

عوامل توقف الكشوف المصرية فى أفريقيا

كان طبيعيا ازاء توسع مصر الهائل فى استكشاف جهات أفريقيا المختلفة ، أن يواجه هذا التوسع بصعوبات عديدة بعضها يتعلق بمظاهر الطبيعة الأفريقية والبعض الآخر فرضته الظروف السياسية التى احاطت بمصر آنذاك • فضلا عن الأوضاع الداخلية التى باتت عليها مصر فى ذلك الوقت وكانت جهود مصر الكشفية قد تأثرت بهذه الصعوبات بيد أن الصعوبات الطبيعية كانت لا تشكل خطورة حقيقية على نشاط مصر الكشفى فى الجهات الأفريقية المختلفة مثلما شكلته الظروف السياسية وأوضاع مصر الداخلية • فكما ذكرنا آنفا أن حملات وبعثات الاستكشاف المصرية كانت تواصل تقدمها فى أنحاء القارة الأفريقية برغم ما كانت تعانيه من صعوبات طبيعية تمثلت فى صعوبة الوصول الى داخل القارة بسبب عدم صلاحية معظم الأنهار والبحار

الداخليـة للمـلاحة وكذلك صـعوبة المرور بالطـرق والدروب والمسالك البرية لضيقها وكثرة تعرجها وعدم استواء سطحها ، كما تمثلت هذه الصعوبات فى انتشار الأمراض الخطيرة ووجود الحيوانات المفترسة والحشرات الضارة والطيور الجارحة ، بالاضافة الى غزارة سقوط الأمطار وارتفاع درجات الحرارة وصعوبة الحصول على المياه العذبة الصالحة للشرب • ورغم هـذه الصعوبات فانها لم تؤد الى توقف نشاط مصر الكشـفى فى بعض الجهات الأفريقية كما سببته الصعوبات الأخرى الناجمة عن الأوضاع السياسية والداخلية التى حاقت بمصر فى أواخر عهد الخديو اسماعيل •

وبادىء ذى بـدء يمكننـا القـول أن الخـديو اسماعيل كان قد ساهم ـ دون أن يدرى ـ فى ايجـاد بعض هذه العوامل فقد أشرنا من قبل انه تملكتـه فى ذلك الوقت رغبة الاستعانة بالضباط والموظفين الأجانب من مختلف الجنسيات لتسيير أمور الدولة وجعلها شبيهة بالدول الأوربية حيث كانت لديه كما أوضحنا سـابقا عقدة التقرب من أوربا فكان لا يدخر وسعا فى استخدام العديد من الضباط والمـوظفين الأوربيين والأمريكيين ليلحق بهم فى الجيش المصرى وكان يسند اليهم المناصب الكبرى فى الدولة وعهد الى كثير منهم بقيادة الحمـلات

والبعثات الكشفية العديدة التى ارسلتها مصر لتجوب مناطق أفريقيا المختلفة ، ويجدر بنا ان نؤكد هنا أن ما أتاه اسماعيل كان خطأ لا يغتفر اذ ترتب على استعانته بالأجانب وركونه الشديد اليهم بغير تبصر او تفكير ان استغل هؤلاء تقرب الخديو اليهم وبدأوا يعملون منذ أن وطئت أقدامهم أرض مصر على تحقيق مصالحهم الخاصة وكذلك مصالح الدول التى يتبعونها وبالطبع كان تحقيق هذه المصالح على حساب مصر • وقد ضرب الانجليزيان « صمويل بيكر » و « غوردن باشا » المثل الواضح فى ذلك فقد عمل كل منهما على تصفية الادارة المصرية فى المناطق الأفريقية التى دخلت فى حوزة مصر وشجعا دولتيهما انجلترا على احتلال هذه المناطق على اعتبار أن انجلترا خير من يفيد هذه المناطق حضاريا دون مصر •

واذا كان الخديو اسماعيل قد استند على مبررات واهية خولت له الحق فى الاستعانة بالأجانب كما سبق أن ذكرنا فالأمر الذى لا شك فيه انه كان فى ذلك قصير النظر قليل الروية والحكمة والتفكير السليم • اذ استفادت الدول الأجنبية بالضرورة من توظيف أبنائها بمصر فكانوا بالنسبة لها بمثابة سند قوى ساعد هذه الدول وبخاصة انجلترا على التدخل فى شئون مصر

الداخلية والخارجية الى حد ان تمكنت هـذه الدول من خلع اسماعيل سنة ١٨٩٧ ثم انفردت انجلترا وحدها دون بقية الدول الأخرى باحتلال مصر سنة ١٨٨٢ ٠

كذلك هناك عامل آخر ساعد على تثبيط همة الجهود الكشفية المصرية في أفريقيا وبخاصة في منطقة الحبشة والمناطق المجاورة لها تمثل في الحروب الثلاث التي خاضت مصر غمارها ضد الحبشة في عامى ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦ والتى انتهت جميعها بهزيمة مصر ٠ وتعود أسباب هذه الحروب الى طبيعة الخلاف الذى كان قائما بين الدولتين منذ سنة ١٨٦٥ بعد أن تمكنت مصر من الحاق ميناءى سواكن ومصوع بأملاكها الأفريقيـة اذ اعتزم الخديو اقامة خط حديدى فيما بين مصوع والخرطوم بغرض تسهيل سبل الاتصال فيما بين السودان وساحل البحر الأحمر الغربى ، بيد أن ملك الحبشة فى ذلك الوقت ثيودور Theodor كان قد تصدى لهـذا المشروع وعارضه بشدة على اعتبار أن امتـداد هـذا الخط الحديدى كان سيمر قطعا بأراضي اقليم بوغوص أو سنهيت ، وهو يزعم بأن هذه الأراضى وما يجـاورها من أراضي القلابات والقضارف الخاضعة لمصر منـذ أيام محمد على هى جميعها أراض حبشية حيث انها تعد أهم مداخل الحبشة الشمالية ٠

كذلك رفض ملك الحبشة أن يكون لمصر نفوذ وسيطرة على جهات الساحل الغربي للبحر الاحمر حيث انه في سبيله لانشاء منفذ بحرى للحبشة على هذا الساحل ليسهل تجارتها مع العالم الخارجي · وبالاضافة الى ما سبق فان الاختلاف الديني بين البلدين كان قد ساعد على زيادة حالة التوتر القائمة بينهما، فمصر كانت تريد مع توسعها في جهات أفريقيا المختلفة أن تنشر الاسلام واللغة العربية ، وهو ما لم ترض عنه بطبيعة الحال الحبشة المسيحية ·

وقد اشتدت حدة الخلاف بين البلدين فى سنة ١٨٦٧ عندما نشبت الحرب بين الحبشة وانجلترا وظهر فيها بوضوح موقف الخديو المؤيد تماما للانجليز اذ سمح لهم باجتياز الاراضى المصرية لمهاجمة الحبشة ووضع الأسطول المصرى تحت تصرفهم حتى يمكنهم ان ينقلوا بسهولة مهماتهم ومؤنهم من السويس الى مصوع وعندما وضعت الحرب أوزارها فى نهاية ابريل سنة ١٨٦٨ بهزيمة الأحباش وبمقتل « ثيودور » بات مؤكدا أن الأحباش يكنون لمصر بغضا وكراهية شديدة ، فكانت مسئولة فى نظرهم عن هزيمتهم أمام الانجليز ومن ثم أخذوا يتحرشون بالقوات المصرية الموجودة بالبلدان الخاضعة لمصر والقريبة لحدودهم ، وقد ظل الحال هكذا

حتى سنة ١٨٧٢ حينما قامت مصر بضم مناطق اخرى قريبة من حدود الحبشة الشمالية كمنطقة بوغوص وراشد ودوكه واميديب وبركة وايليت ، وبذلك صارت معظم الجهات الواقعة فى شمال الحبشة خاضعة لمصر هذا بالاضافة الى جهات أخرى تقع فى شرق الحبشة كانت تخضع أيضا للسيادة المصرية هى الجهات المطلة على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن كجهات مصوع وزولا وبيلول ورهيطة وتاجورة ، ثم لم تلبث مصر أن ضمت اليها فى سنة ١٨٧٥ ميناء زيلع وكذلك بلدة هرر المجاورة للحبشة من جهة الجنوب الشرقى وبذلك طوقت مصر الحبشة من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية الشرقية فضلا عن مجاورتها لها من جهة الغرب منذ عهد محمد على ، وبطبيعة الحال استاء الأحباش كما استاء ملكهم الجديد « يوحنا الرابع » من هذا التوسع المصرى واجتمعت كلمتهم على ضرورة التصدى لهذا التوسع المصرى ومحاربته قبل أن يغمر بلادهم .

ولم يكد ينتهى عام ١٨٧٥ حتى نشبت الحرب بين البلدين اذ أمر الخديو فى أول أكتوبر سنة ١٨٧٥ بتجريد حملتين فى وقت واحد للهجوم على بلاد الأحباش بحيث تتحرك احداهما من مصوع لتهاجم الأحباش من

الشمال وتتحرك الاخرى من تاجورة لتهاجمهم من الجنوب واختـار لقيـادة الحملة الأولى الضـابط الدانمركى ارندروب Arendrup واختار للثانية السويسرى «منزنجر» وقد علمنا فى الفصل السابق مصير حملة «منزنجر» حيث انها توقفت عند بلدة أوسة ولم تصـل الى الحبشـة وتعرضت لهجوم مباغت من قبل أهالى أوسـه التابعين للحبشة وراح « منزنجر » وعدد كبير من جنود حملتـه ضحية هـذا الهجوم الغادر ، وبالتالى لم تتمـكن حملة منزنجر من أداء مهمتهـا . وبالمثـل لم تسـتطع حملة أرندروب هى الأخرى من تحقيق أغراضها رغم وصولها الى الحبشة حيث اشـتبكت القـوات المصرية بالقـوات الحبشية فى معركة حامية استمرت أكثر من ست ساعات فى منطقة يقال لها « جـونديت » وقد أسـفرت نتيجة المعركة عن هزيمة القوات المصرية نتيجة لصغر تعدادها بالمقارنة بتعداد قوات الحبشة ، فضلا عن أن الأحبـاش كانوا أكثر معرفة بأراضيهم ، كما كانوا أشد حماسـة لقتال المصريين ، وقد قتل فى هذه المعركة عدد كبير من الجنود المصريين ولم ينج منهم سوى قلة صغيرة تمكنت من الفرار الى مصوع ، كما قتل فيها أيضا قائد الحملة « ارندروب » وبذلك يكون الأحبـاش قد حققوا عـلى المصريين انتصارين متتاليين ، اذ أن قوات منزنجر المصرية

كان قد غدر بها في ليلة ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ على يد أهل أوسة التابعين للحبشة ثم كان الانتصار الثاني للأحباش في جونديت في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٧٥ . وبطبيعة الحال تلقى الخديو اخبار هاتين الهزيمتين بجزع شديد فهو من ناحية كان يخشى أن تؤثر الهزيمتان على موقف مصر السياسي والمالي لدى الأوساط الاوربية ومن ناحية أخرى كان يعتقد أن الأحباش بما حققوه من انتصار على مصر قد نالوا بذلك من مركزه الشخصي وهو الذي كان بصدد تكوين امبراطورية افريقية . ومن ثم اعتزم ارسال حملة ثالثة الى الحبشة يكون هدفها تأديب الأحباش واستعادة شرف العسكرية المصرية وبالفعل أمر بتجريد حملة عسكرية بلغ تعدادها حوالى ١٥٫٠٠٠ جندى واسند قيادتها الى الضابط الشركسي راتب باشا كما أسند الى الضابط الأمريكي لورنج باشا Loring قيادة أركان حرب هذه الحملة . وقرر أن يرافق الحملة نجله الأمير حسن باشا حتى تكتسب الحملة أهمية خاصة .

والواقع أن الخديو كان قد تعجل في اعداد هذه الحملة ولم يراع الدقة المطلوبة في اختيار قوادها اذ عقد لواءها الى الضابط الشركسي راتب باشا ، وقد عرف هذا الضابط بين زملائه بعدم كفاءته القيادية وبقلة خبرته

الحربية فضـلا عن انه كان يفتقد احترام أقرانه من الضباط الشراكسة والأتراك ٠ كما أن « لورنج » رفض في بادىء الأمر أن يعمل تحت رئاسة راتب باشا وتطلع لأن تكون بيده قيادة الحملة لا قيادة أركانها وبالتالى انعدم التفاهم بين القائد العام للحمله وبين هيئه أركان حربه ٠

على أية حال بعد ان تم اعداد الحملة تحركت من السويس في طريقها الى مصوع وعندما وصلتها فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧٥ مكثت بها بضعة ايام ثم لم تلبث أن واصلت طريقها خلال الصحراء والدروب الوعرة حتى دخلت الأراضى الحبشية ووصلت الى اقليم الحماسين وقد أعلن حاكم الاقليم الحبشى المدعو « ولدانكيل » ولاءه للحكومة المصرية وقد اتبعه فى ذلك حكام البلدان الحبشية التى مرت بها الحملة المصرية كبلدة «عدخاله» « وكلوكزاى » « ويعزره » « وعدرسة » « وقياخور » « وقورع » ٠ ويبدو أن ولاء بعض أهالى البلدان الحبشية لمصر قد أنزل فى روع « راتب باشا » وأفراد حملته أن مهمتهم فى الأراضى الحبشية ستكون سهلة وميسورة ، ومن ثم يلاحظ انهم أهملوا فى أخذ الاستعدادات الكافية لوقايتهم من كافة الأخطار ، فلم يراعوا اختيار المكان المناسب لاقامة معسكرهم اذ أقاموه

في بلدة « قورع » التي كانت تعد من أكثر البلدان الحبشية تعرضا للسيول الجارفة والأمطار الغزيرة فضلا عن ذلك فانهم لم يهتموا ببناء الاستحكامات اللازمة لحماية معسكرهم ومخازن أسلحتهم ، كما أن راتب باشا كان قد أمر بتوزيع قوات الحملة العسكرية على البلدان التي دانت بالولاء لمصر ، وأبقى بمعسكر الحملة في قورع الجزء الباقي من هذه القوات ، وكان مفروضا وحالة الحرب قائمة حينئذ أن تكتل جميع صفوف الحملة العسكرية لمواجهة جيش يوحنا الكثير العدد .

وقد استطاع يوحنا أن يحث جميع الأحباش على محاربة قوات الحملة المصرية المتناثرة في البلدان المختلفة ، الأمر الذى دفع بالأهالى لأن يهاجموا هذه القوات ويلحقوا بها الهزيمة ، ثم لم يلبث يوحنا أن قاد بنفسه جيشا كبيرا وسار بهم في ٧ مارس سنة ١٨٧٦ الى بلدة « قورع » ونشبت بينهم وبين القوات المصرية المعسكرة هناك معركة عنيفة استمرت نحو ثلاثة أيام انتهت بهزيمة القوات المصرية وبمقتل معظم أفرادها . ولكن على الرغم من هذا الانتصار الذى حققه الأحباش على المصريين فقد طلب ملكهم من راتب باشا ضرورة عقد الصلح وانتهاء حالة الحرب القائمة بين مصر والحبشة ، وبالفعل عقد الصلح بين البلدين في أبريل

سنة ١٨٧٦ وفيه تم الاتفاق على ان تنسحب القوات المصرية من كافة الاراضى الحبشية وان يبقى اقليم « بوغوص » تابعا لمصر ، كما تم الاتفاق على ان يفسح طريق للتجارة فيما بين مصوع والحبشة . وهكذا انتهت حروب مصر مع الحبشة بعد أن منيت فيها مصر بخسائر فادحة حيث فقدت من ابنائها ما يزيد على ثمانمائة قتيل بخلاف المئات من الجرحى ، كما فقد من ماليتها ما يقرب من ثلاثة ملايين من الجنيهات فى الوقت الذى كانت تنوء فيه الخزانة المصرية بالديون الجسيمة وتعانى اشد ضروب الارتباك المالى . فضلا عن ذلك فقد ترتب على هذه الحروب أن تصدعت هيبة مصر العسكرية وفقدت الثقة الأجنبية بها نتيجة لما أصابها من هزائم متتالية على أيدى الأحباش، كما ترتب عليها توقف نشاط مصر الكشفى فى جهات الحبشة فى عصر اسماعيل ومهدت فى الوقت نفسه الى توقف هذا النشاط فى بقية الجهات الأفريقية الأخرى فيما بعد عصر الخديو اسماعيل .

كذلك هناك عامل آخر ساهم فى توقف النشاط الكشفى المصرى فى آفريقيا يتمثل فى التدخل الانجليزى فى شئون مصر وما آعقبه من احتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ . فقد أشرنا من قبل الى أن انجلترا كانت تسعى لدى الخديو لتعيين بعض الشخصيات الانجليزية فى

خدمة مصر بغرض التمكين لها في البلاد ، كما انهـــا اتخذت من تعاونها مع مصر في القضـــاء عـــلى تجـــارة الرقيق في أفريقيا وسيلة اخرى لتحقيق مطامعها في التدخل في شئون مصر وفي استعمار المناطق الافريقية فقد رأت أن التعاون مع مصر للقضاء على تجارة الرقيق في أفريقيا سوف يكسبها نفوذا قويا في مناطق الرقيق الأفريقية على اعتبار أن شعوب هذه المناطق كانت اغلبها تدين بالاســـلام ، وبالتالى ترفض التدخـــل الانجليزى المسيحى في شئون تجارتها التى اعتادت عليها منذ زمن بعيد ، أما التدخل المصرى فسوف يكون مقبولا الى حد ما لما لمصر ــ حينذاك ــ من مكانة عربية اسلامية تستطيع ن تؤثر في شأن هذه التجارة ، وبالفعل وكما توقعت الحكومة الانجليزية فان مصر تمكنت بقـــدر الامكان طوال مدة وجودها بجهات أفريقيا المختلفة من محاربة هذه التجارة حيث استجابت لها شعوب هذه الجهـــات وتخلوا عن تجارتهم المحرمة هذه ، وبدأوا يعملون تحت ظل الادارة المصرية في التجارة المشروعة .

وفي ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ تم توقيع معاهدة بين مصر وبريطانيا ، اشتملت على سبعة بنود تقضى بابطال تجارة الرقيق في أفريقيا حيث تعهدت مصر بالضرب على أيدى تجار الرقيق وبفرض أشد العقوبات عـــلى

صائديه ، كما تعهدت بمنع ادخال الرقيق فى اراضيها، غير انه ورد في هذه البنود نص صريح يوضح موافقة الحكومة المصرية على ان يكون للسفن الحربيه الانجليزية الحق في ضبط وتفتيش السفن المصرية فى البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى وذلك للتاكد من عدم وجود رقيق بها، وفى حالة وجودالرقيق بهذهالسفن المصرية فعلى الانجليز تسليم اصحاب هذه السفن الى السلطات المصرية لمحاكمتهم أمام المحاكم الوطنية • هذا وقد ألحق بهذه المعاهدة ملحق خاص أوضحت فيه مصر الاجراءات التى سوف تتبعها لتحرير الرقيق الموجود بأراضيها •

وعلى الرغم من الهدف الانسانى الذى عقدت من أجله هذه المعاهدة فان ارتباط مصر مع انجلترا لعقد مثل هذه المعاهدة كان يعد عملا خاليا من الحكمة وبعد النظر ، فقد مكنت هذه المعاهدة انجلترا من الافتئات على سيادة مصر ومصالحها بما كفلته لها من حق ضبط وتفتيش السفن الحاملة للراية المصرية ، فضلا عن ذلك فقد أجبرت هذه المعاهدة مصر على ضرورة اتخاذ عدة اجراءات صارمة متطرفة وبعيدة عن الحكمة لانهاء تجارة الرقيق فى أقاليمها الأفريقية خلال مدة حددها الأمر الخديو ــ الصادر فى نفس يوم توقيع المعاهدة ــ

يا تنتى عشرة سنة . الامر الذى ترتب عليه فى النهاية نتائج وخيمة عادت على مصر وحدها ، ففضلا عن ضياع الاموال الطائلة التى انفقتها فى سبيل هذا الغرض مما أربك ميزانيتها وزاد من أعبائها المالية ، كانت هناك عدة ثورات محلية قام بها أهالى بعض الجهات الأفريقية يطالبون بابعاد الحكم المصرى عن اراضيهم وبالطبع راح ضحية هذه الثورات عدد كبير من الجنود المصريين .

ومن جهة اخرى فقد حرصت الحكومة الانجليزيه على عرقلة التقدم المصرى فى جهات افريقيا المختلفه وبخاصة فى جهات أعالى النيل الأبيض وجهات ساحل أفريقيا الشرقية وذلك لانها اعتبرت هذه الجهات داخله فى اطار المناطق الافريقية التى تنوى استعمارها . ففيما يتعلق بجهات أعالى النيل الأبيض رأينا «غوردن» يأمر بسحب القوات المرابطة فى اوغندا واونيورو ويعترف لملك أوغندا باستقلاله . والواقع ان ذلك مبعثه حالة الاستياء العام التى كان عليها الرأى العام الانجليزى بالاشتراك مع الحكومة الانجليزية بسبب امتداد النفوذ المصرى الى هذه الجهات ، فقد بذلت جمعية الكنيسة التبشيرية فى لندن جهدا لحض « غوردن » على ابعاد النفوذ المصرى عن أوغندا حتى تتاح الفرصة لمبشريها كى يمارسوا نشاطهم هناك دون

تدخل من السلطات المصرية الاسلامية وهو ما ايدته حكومة بنيامين دزرايلى Benjamin Diraeli (١٨٧٤ — ١٨٨٠) .

أما فيما يتعلق بهجات الساحل الشرقى لافريقيا فقد أوضحنا من قبل موقف الحكومة الانجليزية العدائى تجاه حملة ماكيلوب McKillop المصرية المرسلة الى نهر جوبا سنة ١٨٧٥ . وهى لم تكتف بذلك اذ أرادت أن تحد من التقدم المصرى على هذا الساحل فأبرمت مع مصر معاهدة ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ نصت على اعتراف انجلترا بسيادة مصر — تحت التبعية العثمانية — على ساحل الصومال حتى رأس حافون ، كما نصت على تعهد الخديو بعدم التنازل لأية دولة أجنبية عن أية منطقة من البلاد الواقعة على هذا الساحل وتخويل الحكومة الانجليزية الحق فى تعيين نواب قنصليين لها فى جميع الموانىء والجهات الموجودة على هذا الساحل بشرط الا يكونوا من أهالى هذه الجهات ، كذلك نصت المعاهدة على ابقاء مينائى «بربرة» «وبلهار» كميناءين مفتوحين للتجارة الحرة والا تمنح الحكومة المصرية لأحد ما أى احتكار أو امتياز فيهما والا تسمح باجراء أى عمل يعطل حركة التجارة فيهما ، كما تتعهد الحكومة المصرية بألا تأخذ رسوما جمركية عن البضائع الواردة

الى هذين الميناءين اكثر من خمسة في المائة من قيمتها كما كان عليها ان تعامل رعايا انجلترا وسفنها في تلك الجهات معاملة الدولة الاولى بالرعاية . وبهذه المعاهدة استطاعت الحكومة الانجليزية ان تحقق مكاسب عديدة فهي قد ضمنت باعترافها بسيادة مصر علي جهات الساحل الصومالي حتى راس حافون عدم وقوع ايه جهة من جهات هذا الساحل في ايدى اية دولة استعمارية اخرى معادية لانجلترا يمكنها ان توقع الضرر بالمصالح الانجليزية ، وقد تعهد لها الخديو بذلك عن نفسه وعن ذريته من بعده . كذلك استفادت انجلترا من مسألة تخفيض الرسوم الجمركية على سفنها التجارية المارة بمينائي « بربرة » « وبلهار » والواصلة الى « عدن » التي احتلتها انجلترا منذ سنة ١٨٣٩ هذا فضلا عن المزايا والامتيازات الأخرى التي منحت لانجلترا ولرعاياها الانجليز في هذه الجهات الساحلية .

أما مصر فقد عادت عليها هذه المعاهدة بخسائر جسيمة ، فهي من ناحية قد ساعدت على زيادة تدخل انجلترا في شئون مصر ، حيث جاءت هذه المعاهدة بعد مرور شهر تقريبا من توقيع معاهدة الغاء الرقيق في ٤ أغسطس سنة ١٩٧٧ والمعروف أنه ورد بالمعاهدتين بنود أباحت لانجلترا فرصة التمكين لها في مصر وفي

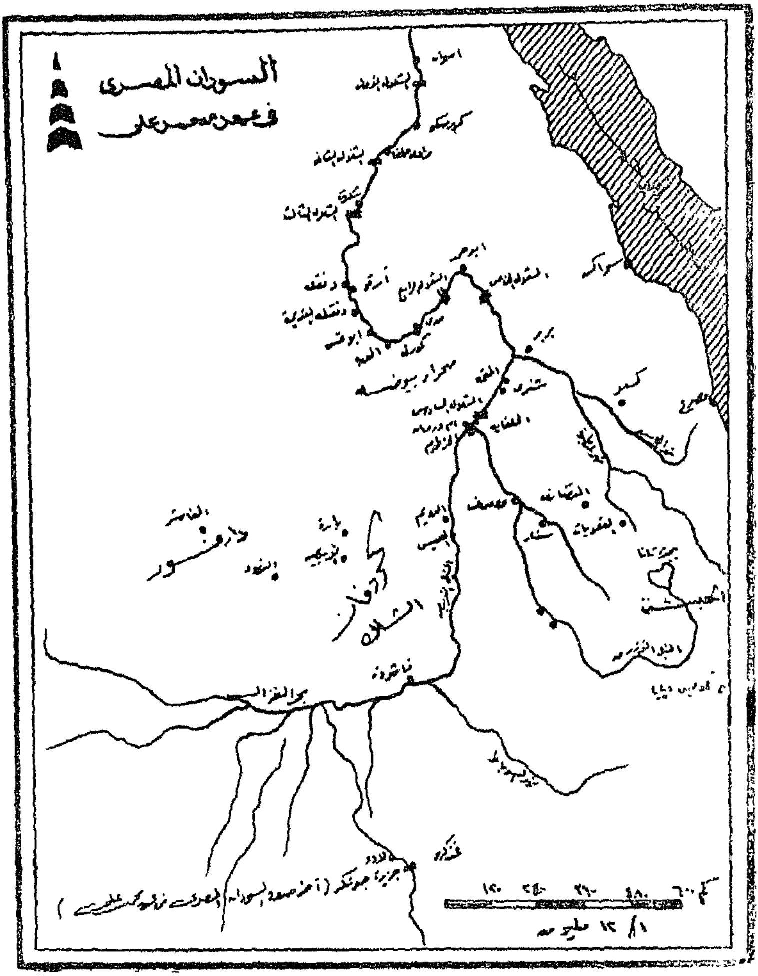
الجهات الأفريقية التابعة لها كما سبق توضيحه ، ومن جهة أخرى فان مصر قد خسرت بتوقيعها هذه المعاهدة أموالا طائلة سواء تلك التى أنفقتها على الحملات العسكرية ورحلات الاستكشاف وعلى مشروعات تعمير واصلاح هذه الجهات أو تلك التى نتجت بسبب تخفيض الرسوم الجمركية على البضائع الواردة الى مينائى « بربرة » « وبلهار » وقد قدر غوردن بنفسه قيمة العجز السنوى فى ميزانية بربرة والذى ترتب نتيجة لهذا الاجراء بنحو ٨ر٠٠٠ جنيه مصرى ، فضلا عن ذلك فان هذه المعاهدة كانت قد قيدت من حركة التوسع والاستكشاف المصرى فى الساحل الشرقى لأفريقيا اذ اعتبرت رأس حافون نهاية لحدود ممتلكات مصر على هذا الساحل • هذا ولم يقتصر دور السياسة الانجليزية عند هذا الحد اذ هيأت لها الأوضاع المضطربة التى باتت عليها مصر فى أواخر عصر اسماعيل فرصة التدخل فى شئونها الداخلية حيث تفاقمت الأزمة المالية بمصر بسبب اقبال اسماعيل على الاقتراض من بيوت المال الأوربية للوفاء بالتزاماته ازاء شركة قناة السويس ونفقات سياسته الخارجية فى تركيا والدول الأوربية الأخرى ، واصلاحاته الداخلية الواسعة ورغبة فى توسيع أملاك مصر فى أفريقيا • وكان رد الفعل

الطبيعى لهذه النفقـات الباهظة أن ارتبكت ميزانيـة البلاد وأصبح اسماعيل غـير قادر عـلى تلبيـة مطالب الدائنين الأوربيين ، مما دفع بالحـكومات الأوربيـة للتدخل فى شئون مصر المـالية بحجة حمـاية مصـالح رعاياها الماليه ، ومن ثم فقد وجدت الحكومة الانجليزية الطريق ممهدة لتحقيق مطامعها الاستعمارية فى مصر . خاصة انهـا تمكنت فى نوفمبر سـنة ١٨٧٥ من شراء أسهم مصر فى قناة السويس مقابل أربعـة ملايين من الجنيهات ، فدأبت على ارسال مبعوثيها الماليين لدراسة الأزمة المالية • وقد انتهى الحال بهـؤلاء الى التمهيـد الفعلى للتدخل البريطانى حينما عهد الخديو الى أحدهم وهـو السـير ريفرز ويلسون Sir Rivers Wilson بوزارة المالية المصرية •

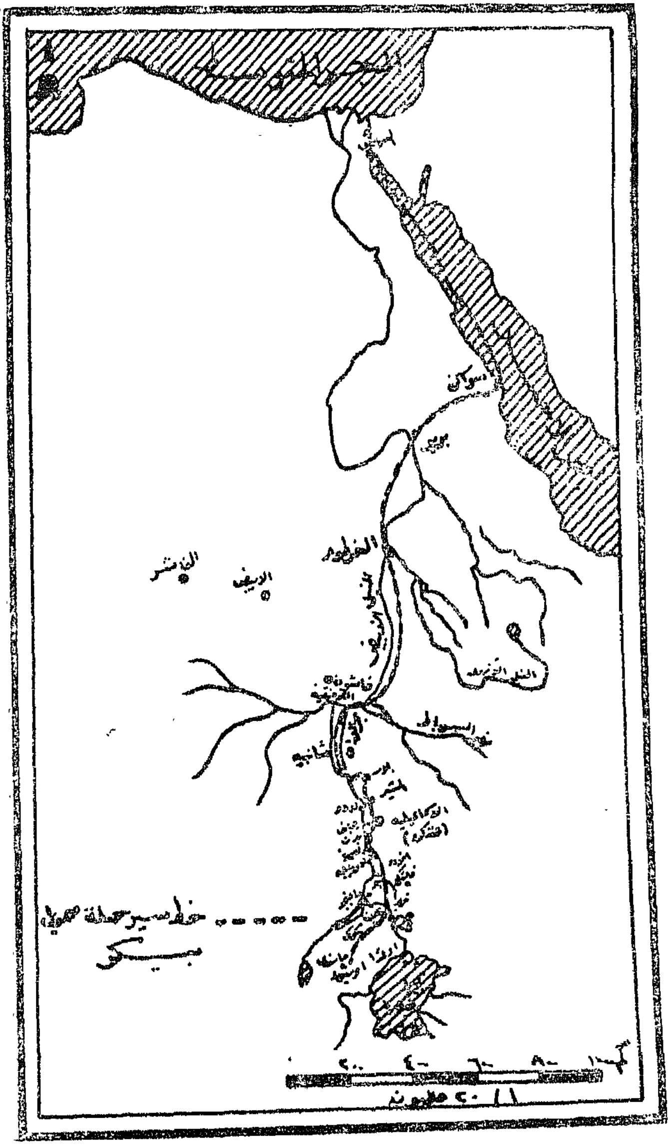
وكان طبيعيا ازاء هذا التدخل الأوربى فى شئون البلاد ، أن يتحرك الشـعور القـومى مطالبـا بابعـاد الأوربيين عن مصر • وعندما أحست الدول الأوربيـة وخاصة انجلترا وفرنسا ، بتقرب الخـديو تجـاه هـذا الشعور القومى واستجابته لمطالبه أسرعت لدى الدولة العثمانية تحت سلطانها عبدالحميد (١٨٧٦ ــ ١٩٠٨) عـلى ضرورة عزل الخـديو اسماعيل • وبالفعل أصدر

السلطان قرار العزل فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ ، ثم لم يلبث بعـــد ذلك بثـلاث سنوات أن انفردت انجلترا باحتلال البلاد · وهكذا لعبت انجلترا دورا مهما فى سياسة مصر الداخلية والأفريقية مما دفعنا الى اعتبارها أحد العوامل المهمة التى أثرت على نشاط مصر الكشفى فى أفريقيا فبسببها توقف هذا النشاط فى جميع الجهات الأفريقية وذلك عندما احتلت مصر سنة ١٨٨٢ ، ثم لم تلبث بعد ذلك فى سنة ١٨٨٤ أن أكرهت مصر على اخلاء هـذه الجهات لتضيع بذلك كافة الجهـود المضنية التى بذلتها مصر فى سبيل الوصـول الى جهـات أفريقيـا المختلفة لاستكشافها ونشر مظاهر الحضارة والعمران بهـــــا ·

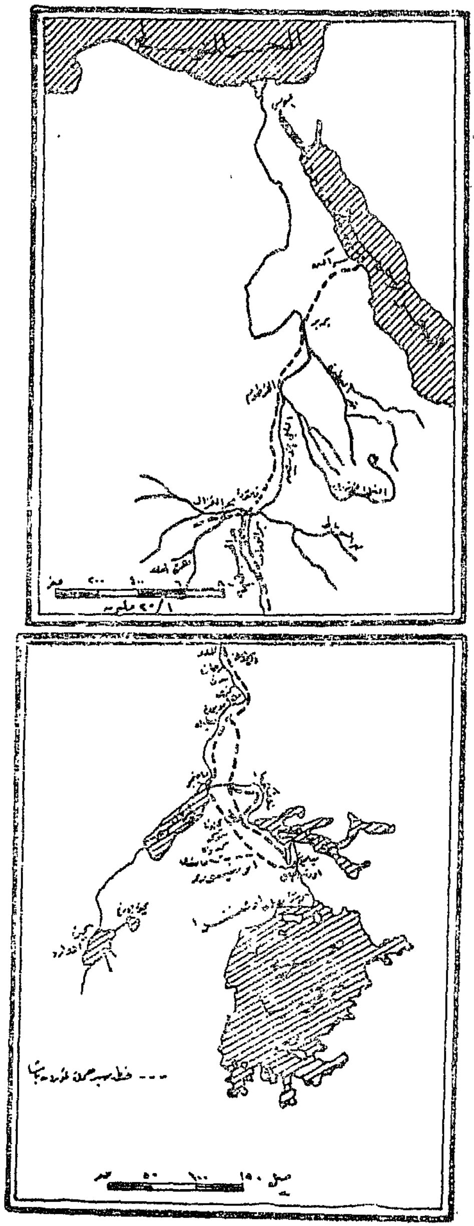
خريطة رقم (١)



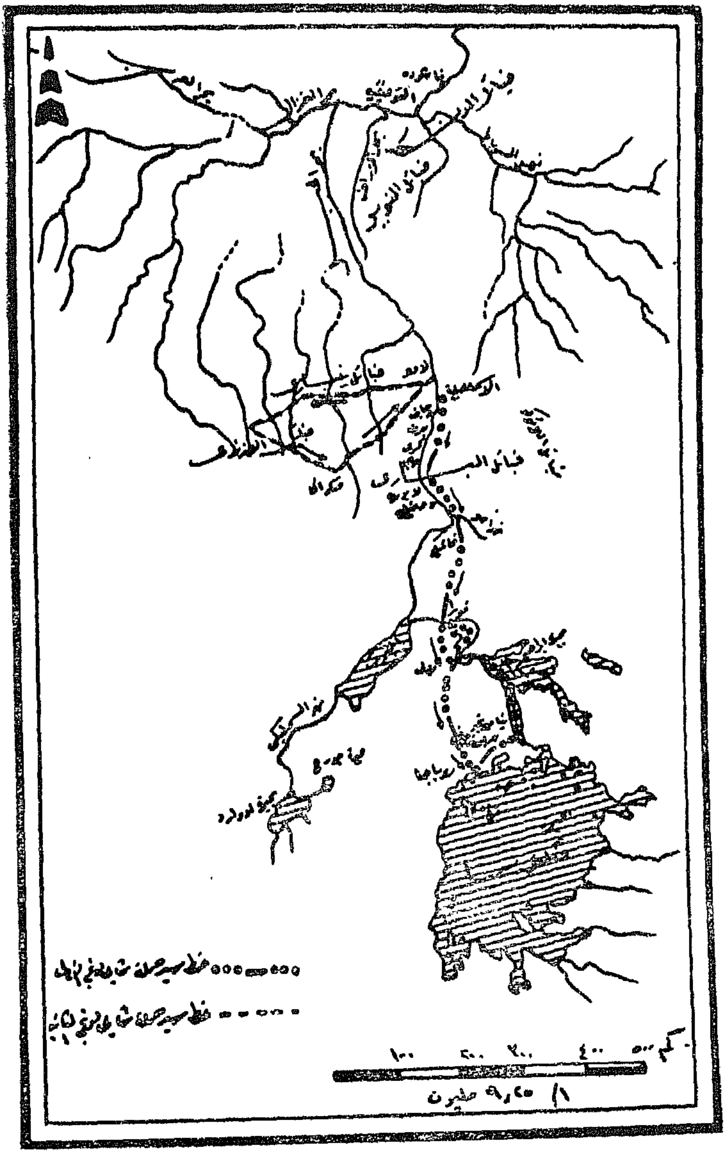
خريطة رقم (٢)



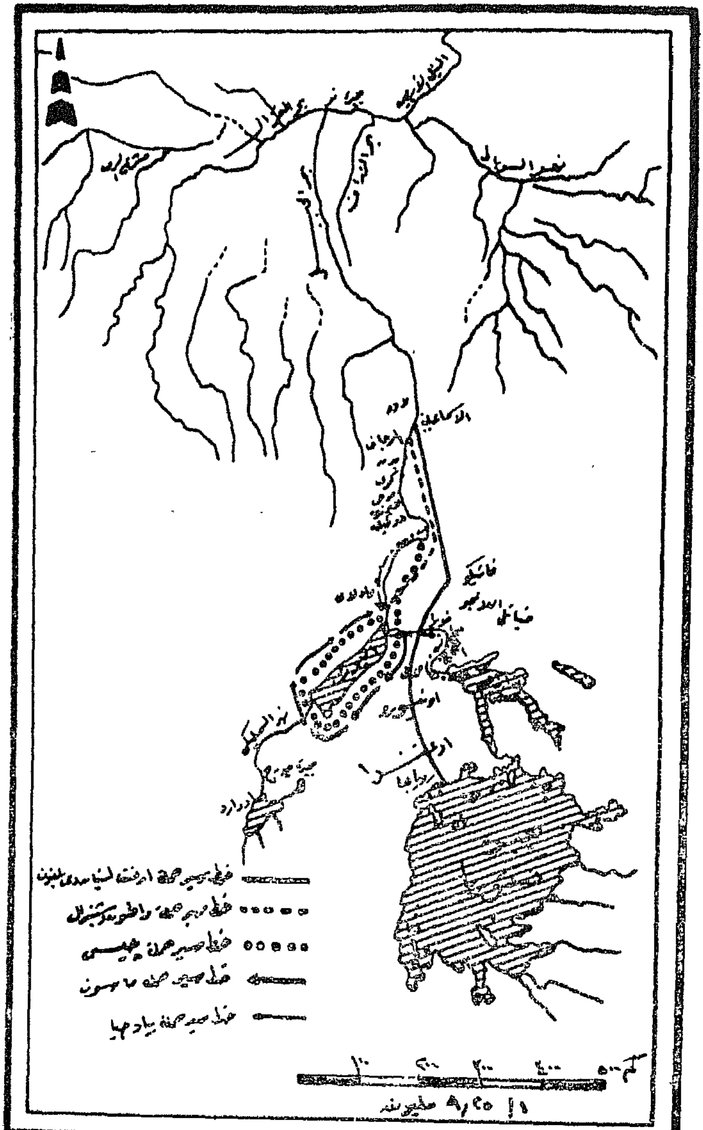
خريطة رقم (٣)



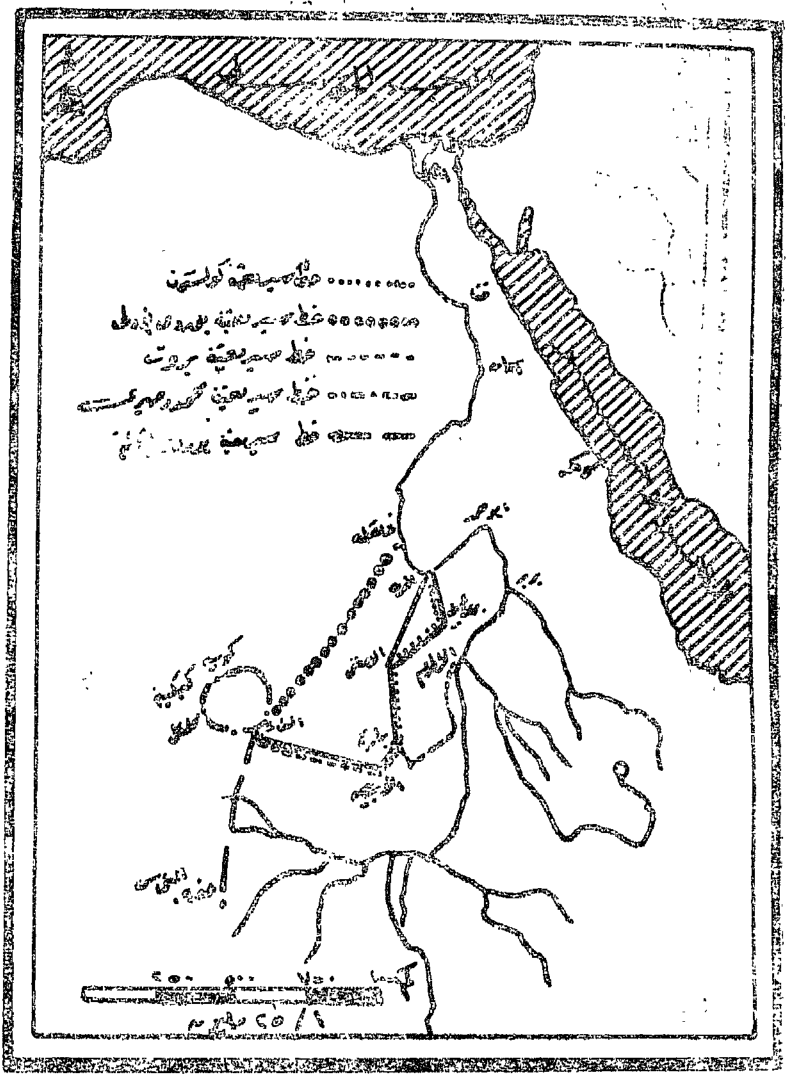
خريطة رقم (٤)



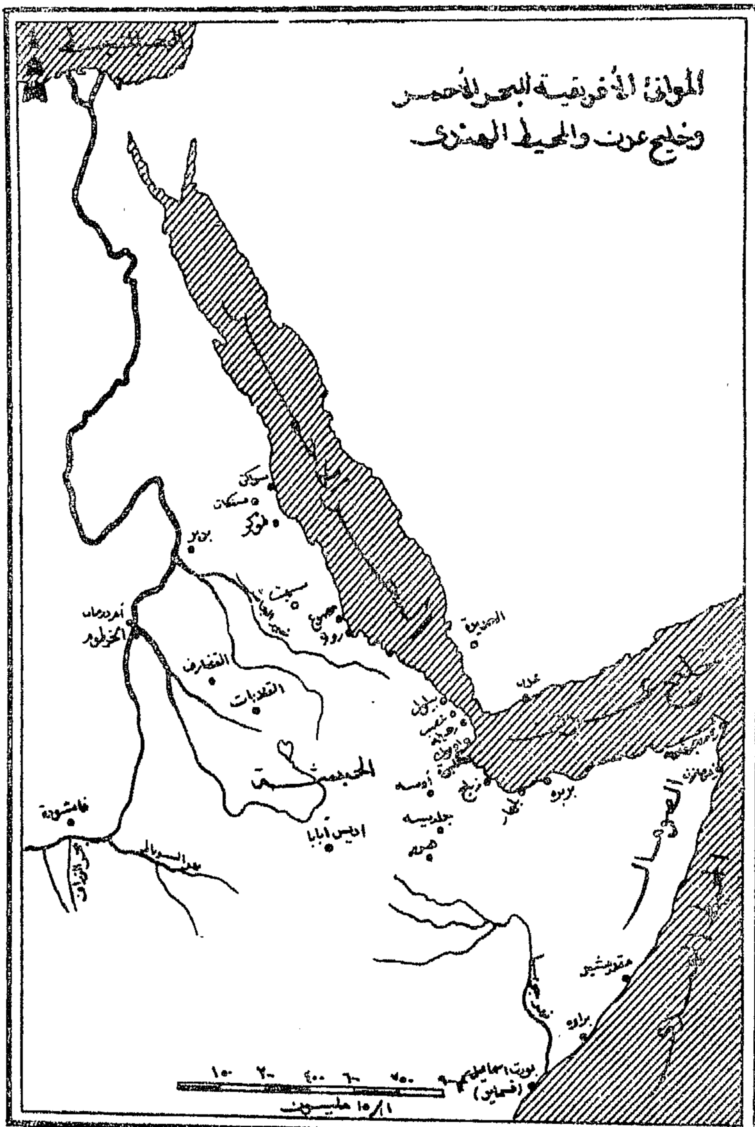
خريطة رقم (٥)



خريطة رقم (٦)

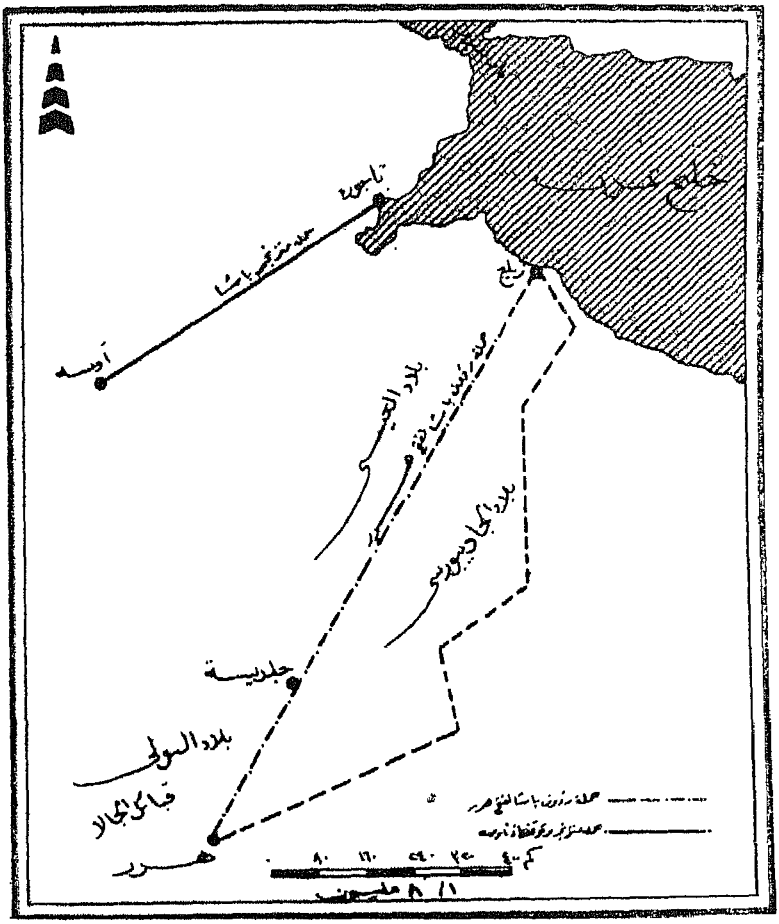


خريطة رقم (٧)



الموانئ الأفريقية للبحر الأحمر
وخليج عدن والمحيط الهندي
سواكن
فوكر
بربر
أم درمان
الخرطوم
القضارف
القلابات
مصوع
الحديدة
الحبشة
أوسه
زيلع
بربره
جلديسه
هرر
اديس أبابا
الصومال
براوه

خريطة رقم (٨)


تاجورة
أوسه
زيلع
بلاد العيسى
بلاد الجادبورسي
جلديسة
بلاد السومالي
قبائل الجالا
هرر

الفهـــــــرس

صــدر فى هــذه السلسلة :

١ ــ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ .
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
٢ ــ على ماهــر .
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
٣ ــ ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
٤ ــ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة .
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
٥ ــ غارات أوروبا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى .
علية عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧
٦ ــ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ .
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧
٧ ــ صــلاح الدين الأيوبى .
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
٨ ــ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية .
د. على بركات ، ١٩٨٧
٩ ــ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧
١٠ ــ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية .
محمود فوزى ، ١٩٨٧
١١ ــ مائة شخصية مصرية وشخصية .
شكرى القاضى ، ١٩٨٧
١٢ ــ هدى شعراوى وعصر التنوير .
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ــ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية .
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ــ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية .
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ــ المستشرقون والتاريخ الاسلامى .
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ــ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ــ ١٩٥٢) .
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ــ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى .
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ــ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية .
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ــ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين .
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ــ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى .
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، جـ ١ .
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ــ نظرات فى تاريخ مصر .
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى جـ ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى .
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) .**
د. نجوى كامل ، ١٩٨٩

٢٥ ـ **المجتمع الاســـلامى والغرب ،**
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ـ **تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،**
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ١ ،**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ٢ .**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ ـ **مصر فى عصر الاخشيديين ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ـ **الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،**
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ـ **خمسون شخصية مصرية وشخصية .**
شـــكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ـ **مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضـــاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،**
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩ .

٣٤ ـ **تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،**
د. يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ **أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،**
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،**
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠ .

٣٩ ـ **قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،**
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ **الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ **تكوين مصر عبر العصور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، ج ١ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم : د. حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١

٤٩ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٢.

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،
د. حلمى أحمد شلبى : ١٩٩٣

٥٧ ـ **مصر الاسلامية وأهل الذمة ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ـ **أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،**
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣

٥٩ ـ **الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصير الى التأميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ،**
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ ـ **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ج ٣ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،**
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ .

٦٤ ـ **مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،**
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)**
سهام نصار ، ١٩٩٣

٦٦ ـ **المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى**
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣

٦٧ ـ **مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) أعدها للنشر : د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣.

٦٨ – **الحروب الصليبية ، جـ ٣ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د· حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ – **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ – ١٩٥١)،**
د· محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ – **أهل الذمة فى الاسلام ،**
تأليف : أ· س· ترتون ، ترجمة وتعليق : د· حسن حبشى، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ – **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ – ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور أيفانز ، ترجمة : د· عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ – **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ – ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ – **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د· رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ – **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، جـ ١ ، فى العصر الفرعونى**
د· سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ – **أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د· سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ – **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،**
د· سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٤ ،**
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٤

٧٨ ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،**
نعمات أحمد عتمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ **تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،**
تأليف : فريد دي يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ **قناة السويس والتنافس الاستعمار الأوربي (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،**
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،**
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ **مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ **تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،**
د. أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ **مذكرات اللورد كلين ، جـ ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،**
د٠ عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،**
د٠ نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) جـ ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ **قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،**
د٠ نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، جـ ٢ ،**
د٠ سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ **مصر وأفريقيا ٠٠ الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د٠ عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠) ،**
تأليف : مالكولوم كير ، ترجمة : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ ـ **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،**
د٠ ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ـ **هيكل والسياسة الأسبوعية ،**
د٠ محمد سيد محمد

٩٩ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) ج ٢ ،**
د٠ سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،**
أ٠ د٠ عبد العزيز صالح ، أ٠ د٠ جمال مختار ،
أ٠ د٠ محمد ابراهيم بكر ، أ٠ د٠ ابراهيم نصحى ،
أ٠ د٠ فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان

١٠١ ـ **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،**
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء / عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ **المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢ ،**
د٠ تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ **رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،**
د٠ على بركات

١٠٤ ـ **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د٠ فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ــ **السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ــ ١٩٨٧) ٠**

د٠ أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ــ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،**

د٠ سليمان صـــالح

١٠٧ ــ **الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،**

تأليف : دليب هيرو ، ترجمــة : عبد الحميد فهمى الجمال

١٠٨ ــ **مصر للمصريين ، ج ٤ ،**

سليم خليل النقاش

١٠٩ ــ **مصر للمصريين ، ج ٥ ،**

سليم خليل النقاش

١١٠ ــ **مصـــادر الأملاك فى الدولة الاســـلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ،**

د٠ البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ــ **مصـــــادر الأملاك فى الدولة الاســـلامية (عصر سلاطين المماليك ، ج ٢ ،**

د٠ البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ــ **اسماعيل باشا صدقى ،**

د٠ محمد محمد الجوادى

١١٣ ــ **الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،**

د٠ اسماعيل عز الدين

١١٤ ــ **دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،**

أحمد رشـــدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية) ،
عـلاء الدين وحيـد
١١٧ ـ تاريخ القضـاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشـام زمن سلاطين المماليك ،
د٠ البيومى اسماعيل
١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية ،
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ معركة الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د٠ محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ـ مصر للمصريين ج ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البـدوى
د٠ سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د٠ محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين ج ٧
سليم خليل النقاش ٠
١٢٦ ـ مصر للمصريين ج ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ **معـــارك صـــحفية**
جمـــال بـدوي .
١٢٩ ـ **الدين العـــام (وأثـــره فى تطـــور الديـن المصرى) (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣)**
د. يحيى محمد محمود
١٣٠ ـ **تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧)**
سمير فريد
١٣١ ـ **الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)**
تأليف جايل ماير ، ترجمة عبد الرءوف أحمد عمر
١٣٢ ـ **دار المندوب السامى فى مصر ج ١ ،**
د. ماجده محمد حمود
١٣٣ ـ **دار المندوب السامى فى مصر ج ٢ (١٩١٤ ـ ١٩٢٤)**
د. ماجده محمد حمود
١٣٤ ـ **الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى**
مخطوطة « ضيا نامة » للدار ندلى
بقلم/ عزت حسن أفندى الدار ندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى
١٣٥ ـ **اليهود فى مصر المملـوكية فى ضـــوء وثائـق الجنيزة (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)**
د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ **أوراق يوسف صديق**
تقديم أ . د . عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ **تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى**
د . محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ـ **الاخوان المسلمون**
وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر ـ السيد يوسف

١٣٩ ـ **موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين**
محمـــد قابيــــل

١٤٠ ـ **سياسة مصر فى البحر الأحمر ٠**
فى النصف الأول من القــرن التــاسع عشر ـ طارق
عبد العاطى غنيم ٠

١٤١ ـ **وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك**
لطفى أحمد نصار ٠

١٤٢ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ج ٤**
أحمد شفيق باشا ٠

١٤٣ ـ **دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق٠م٠**
منيرة محمد الهمشرى ٠

١٤٤ ـ **كشوف مصر الأفريقية**
فى عهــد الخــديوى اسمــاعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ـ
د٠ عبد العليم خلاف ٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٥٩٢٢

ISBN — 977 — 01 — 6123 — 3